د . صلاح الدين النكدلي

آراء في الدعوة والحركة

(الجزء الثاني)

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

1. Auflage, 06.2009

الطبعة الشبكية الأولى
جمادى الآخرة / ١٤٣٠هجري
حزيران / يونيو ٢٠٠٩ميلادي
نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

جميع الحقوق محفوظة للدار الإسلامية للإعلام
Copyright © 2009, I.I.D e.V.
All Rights Reserved

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء في الدعوة والحركة

الجزء الثاني

د . صلاح الدين النكدلي

الطبعة الشبكية الأولى

جمادى الآخرة / ١٤٣٠هـ

حزيران / يونيو ٢٠٠٩م

نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.
P.O.Box: 100810
D-52008 Aachen
Germany

Tel: + 49 241-538373
Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-alraid.com
Website: www.iid-alraid.com

1. Auflage, 06.2009

المحتويات

وفّروا شروط التناصر	٥
الحركة الإسلاميّة .. والمرحلية	٨
همسة في أذن الدعاة	١١
الدعاة وإصلاح العقيدة	١٦
الإسلام أقوى .. فلا تهنوا	٢١
احرصوا على الاستقلال .. وعليكم بالحوار	٢٦
من أصول العمل الجماعي	٣٠
درس في السياسة الشرعية	٣٤
كن منهجياً تحقق هدفك	٣٨
هل أنت « استراتيجي » أم « تكتيكي » ؟	٤٢
عليكم بفقه التثبيت وفقه الدعوة	٤٦
حول الحوار الإسلاميّ–القومي	٤٩
ظاهرة العنف	٥٤
الوعي السياسي ضرورة حيوية	٥٨
هل أنت شمولي ؟	٦٢
عالجوا أسباب الإرهاب	٦٥
المسلمون وقوى التسلط العالمي	٦٩
من هو القائد ؟	٧٣
أزمات المسلمين... ما أسبابها ؟	٧٦
من لم يكن عبداً لله كان عبداً لسواه	٧٩
الفقه الإسلامي والتطورات المعاصرة	٨٦

أزمة المرأة المسلمة .. فرع من أزمة الأمة	٩٢
همسة في أذن الرجال والنساء	٩٧
انهضوا بالرجال والنساء معاً !	٩٨
أين المبدعات ؟	١٠١
دور المرأة في الدعوة	١٠٣
المرأة في العمل المؤسساتي	١٠٥
المرأة حصن الإسلام المنيع	١٠٦
أوثق عرى الإيمان	١٠٩

وفّروا شروط التناصر

في العالم الإسلامي اليوم جماعات إسلامية متعددة الرؤى والمناهج .. تبذل جهداً مشكوراً يرمي إلى تجديد الإسلام في حياة المسلمين .. والعمل التجديدي -كما لا يخفى- يقتضي :

- تحديد المجالات التي تحتاج إلى بعث المعاني الإسلاميّة الأصيلة في جنباتها .. وهذه تمثل (الأهداف) .
- وتحديد منهج العمل الموصل إلى تحقيق الأهداف .
- واختيار الوسائل الملائمة للمنهج والأهداف .

ولقد وقع خلاف غير قليل في تحديد منهج العمل وفي اختيار الوسائل .. على الرغم من الاتفاق الكبير في الأهداف .. وقد أثر في بروز الخلافات أمور يأتي في مقدمتها (التجزئة) و (الظروف السياسية المهيمنة في كل قطر) .

وبصرف النظر عن أسباب التجزئة وأبطالها .. فإن التجزئة واقع قائم ، وفي ظلها نشأ عمل إسلامي يؤمن بعالمية الرسالة ، ويرى جواز قطرية التنظيم والحركة ، ويبرر ذلك باللوازم القانونية للتجزئة المفروضة والمرفوضة ، وبالمعرفة بأحوال القطر ⌧ (أهل مكة أدرى بشعابها) . ويقابل هذه النظرة رأي آخر يرفض التجزئة وإفرازاتها السياسية والاجتماعية والخلقية والاقتصادية ، ويؤمن بعالمية الحركة والتنظيم كما يؤمن بعالمية الرسالة .

وبما أن الخصومة حامية بين الإسلاميّين وأنظمة الحكم العلمانية .. وهي خصومة تثور في مكان وتهدأ في آخر .. فإذا اشتدت في قطر -بصرف النظر عن الأسباب- فإن الحاكم يسارع إلى فتح أبواب المعتقلات ، ويطارد الذين آثروا الاختفاء ، ويلاحق الذين هم خارج البلاد بأنواع المضايقات .

وعند المحنة يتطلع المسلم إلى مناصرة إخوانه .. فإذا سارعوا وأيدوه وساعدوه في الذي يراه ويرغب فيه .. قبل منهم وأثنى عليهم .. أما إذا رأوا رأياً آخر يمنعهم من التجاوب معه في الذي يسعى إليه .. فإنه ينفر منهم ، وفي كثير من الأحايين يغمز بهم ويسفه أحلامهم !!

هذه الظاهرة المتكررة تطرح موضوع (التناصر) وكيف يكون في ظروف البلاد الإسلاميّة ،

وفي الشروط الدولية القائمة .

ولا ريب في صحة شعور المسلم بواجب نصرة إخوانه .. ولكن هل يعني نصره أن أساعده وأسانده في الذي يختار من منهج العمل الذي ارتضاه .. بينما أرى خطأه فيه ؟

ولعل من المفيد أن نذكر الحديث النبوي الذي يجمع في كلماتٍ المعاني الواردة في (التناصر) ، ثم نطبق هذا على واقعنا ، ونقدم اقتراحات .

روى البخاري عن أنس ﷺ قال : قال رسولَ الله ﷺ : « **انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا** » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُه ؟ ، قَالَ : « **تَحْجُزُهُ -أَوْ تَمْنَعُهُ- مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُه** »

فالجماعة التي اختارت لنفسها ، وبمعزل عن الآخرين ، منهجاً تراه يوصل إلى الأهداف .. ليس من حقها أن تلزم جماعات أخرى بمناصرتها .. إلاّ إذا كانت متفقة معها على المنهج والخطوات .. لأن الذي يطالب بحق النصرة ، ويريد بذلك (الموافقة والتأييد) في الذي يذهب إليه .. عليه أن يعطي الحق لأخيه في نصره بمعارضته وحجزه عن الخطأ الذي يراه .

ولكن المشكلة تأتي من كون جو المحنة والأزمات لا يساعد على الحوار والنقد والمراجعة .. ولا يقوى على سماع الرأي المخالف وقتها إلا أصحاب العزائم من الرجال .. لذلك نقترح على الجماعات الإسلاميّة .. وخاصة القطرية التنظيم .. أموراً نراها تساعد على العمل بـ (التناصر الأخوي) في كل حال :

١- ينبغي أن يكون هناك تبادل (سفراء) بين الجماعات الإسلاميّة في الظروف العادية ، وهذا يتيح الفرصة للتعارف ووضع الأيدي على جوانب الاتفاق والافتراق ، ويساعد في تقريب وجهات النظر ، وعلى اكتشاف قواسم مشتركة للتعاون في زمن الهدوء ووقت الشدة .

٢- أن تختار لتمثيلها رجالاً من أولي الخبرة والاستعداد للحوار وسماع الرأي المخالف .. مع القدرة الكافية على التعبير عن اختيارات الجماعة التي ينتمون إليها .

٣- عقد لقاءات تعارف وحوار ومدارسة بين أصحاب التفكير والتقرير في الجماعات الأصيلة ، فإذا فعلت الجماعات ذلك .. فإن كل جماعة تعلم قبل المحنة الحدود التي تتجاوب معها كل جماعة .. وتعلم كل جماعة مع من تتكلم في زمن المحنة ويشكل مرجعاً مقبولاً وطريقاً مأمونا..

ولقد فرضت الشروط السياسية الموجودة داخل أقطار العالم الإسلامي –وفي المنطقة العربيّة بشكل خاص– تعدداً في تقديرات القارئين لهذه الشروط ، وهذا التعدد في التقدير أثر بدوره على تحديد طريقة التعامل مع الحكومات القائمة ؛ سواء على المستوى القطري أو المستوى العالمي .

أمام هذا التباين في توصيف الواقع ، والاختلاف في طريقة التعامل معه .. أقول :

▪ إنّ الحركات الإسلاميّة داخل كل قطر تعاني من أزمة فيما بينها ، فكل جماعة ترى وجوب الأخذ برأيها أو دعمه ومناصرته ، وتعبر عن موقفها برفض كل الآراء الأخرى ، أو التهوين من شأنها ، وبالسعي إلى كسب الساحة الإسلاميّة لتكون في جانب اختيارها .

وشعور المسلم بحاجته إلى دعم ونصرة أخيه ، الذي يتحرك معه في ساحة واحدة ، شعور صحيح وسليم . ولكن هل يعني ذلك تنازل أخيه عن رأيه وتقمص رأيه ؟ أم أن نصرته له قد تكون بمنعه من العمل بما ظهر له من رأي .. قد يكون خطأ بعد تقليب وجوه النظر فيه .. وقد تكون نصرته له بالتوصل من خلال الحوار إلى رأي لم يكن ظهر من قبل .

▪ يقر معظم العاملين في الصف الإسلاميّ أن مناهج العمل (اجتهاد) قابل للخطأ والصواب ، وأن المجتهد مأجور سواء أصاب أم أخطأ .. إلا أن الواقع يقيم الحجة على أن هذه المعاني موجودة في الأدبيات عند معظم أبناء التيار الإسلاميّ المنظم أكثر من وجودها في القلوب .. ولكي تأخذ هذه القيم دورها في الواقع فإننا نقترح الآتي :

١- أن تعترف كل جماعة بحق غيرها في الفهم وفي التوصل إلى نتائج غير التي توصلت إليها هي بالذات .

٢- أن تبني الجماعات المخلصة جسوراً من المحبة والاحترام فيما بينها .

٣- أن تحصر الاختلاف في حدود (التخطئة) دون الوصول به إلى (التجريح) و(الطعن في العقول أو المقاصد) ، وأن تستعد للحوار ولو على رؤوس الأشهاد .

٤- أن تؤهل من أفرادها الموهوبين عدداً كافياً للقيام بدور تقريب وجهات النظر ، وتوفير شروط الثقة والتفاهم والتعاون .

▪ إنّ توفير الشروط الصحية لفهم الرأي الآخر وقت الرخاء .. قد يسفر عنه التوصل إلى رؤية جديدة وإلى منهج عمل ليس بالضرورة أن يكون أحد المناهج المعتمدة لدى المتحاورين عند بدء الحوار .. وهذا –في تقديرنا– أعلى درجات التناصر الأخوي .

الحركة الإسلاميّة .. والمرحلية

إنّ كون الحركة الإسلاميّة عملاً بشرياً .. فإنها بحاجة مستمرة إلى ترشيد خطواتها وتصويب مسيرتها .. وإنّ حاجتها إلى ذلك في مرحلة الدعوة والتكوين أكبر من مرحلة النصر والتمكين . والمشكلات التي تعيشها الحركة الإسلاميّة في أمس الحاجة إلى أن تدرس بعمق وجرأة .. سواء كانت مشكلات ذاتية صادرة من داخل الحركة ، أم كانت خارجية مصادرها متعددة .

ثم إنّه ليس من الحكمة السكوت عن أخطاء ممارسات الإسلاميّين .. حتى في زمن المحنة .. لأن التغاضي عن الأخطاء ربما قاد الحركة إلى الهلاك تلو الهلاك .. أو إلى مشكلات فكرية ونفسية وتربوية تنحرف بأجزاء من الحركة الإسلاميّة عن أخلاق الإسلام الأصيلة وعن أهدافه النبيلة ..

وانطلاقاً من الإيمان بواجب نصر المسلم سواء كان ظالماً أو مظلوماً .. بالمدلول الشرعي لفكرة النصرة .. فإني أتوجه إلى حملة أمانة الدعوة إلى الله بملاحظة أرجو أن يلتفت إليها عاملون مخلصون يتجاوزونها –عملياً– فلا يحصدون إلاّ الصاب والعلقم ! .

إننا نؤمن أن الحركة الإسلاميّة لن تتمكن من الوصول الحقيقي .. لا الصوري .. إلى أهدافها ، إذا لم تسلك في عملها سبيل (السنن) التي أودعها الله عزَّ وجلَّ في الحياة وفي المجتمعات ، وإذا لم تصبر على مراحل الطريق الموصل إلى الأهداف .. لأنه من تعجّل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

ولتوضيح المراد من هذا الكلام أقول : إنّ الآيات التي أودعها الله عزَّ وجلَّ في الآفاق وفي الأنفس جديرة باهتمام دعاة الإسلام .. لأن فيها دروساً تنفع في صياغة الأعمال البشرية والنشاط الاجتماعي .

والأمثلة كثيرة ، ويكفينا منها مثل واحد هو (الإنسان) .. فإذا دققنا النظر في المراحل التي يمر بها بدءاً بمرحلة الجنين إلى أن يصير إنساناً قادراً مستقلا .. فإننا ندرك أن لكل مرحلة ضوابطها ومتطلباتها .. وندرك أيضاً أن مرحلة التكوين الأولى هي أخطر المراحل ، وأن أي خطأ يحدث فيها قد يترك بصماته وظلاله في مستقبل حياة الفرد والجماعة التي ينتمي إليها .

من هذا المثل يتبين لنا أمران :

الأول : كل عمل من طبيعته أن يمر بمراحل متتابعة لكي يصل إلى مرحلة النضج القادر على الإنتاج .. فإن الواجب يقضي بأن يسير وفق مراحله .. وأن التفكير يتجاوز المراحل لن يؤدي إلى النتائج المرجوة .

الثاني : أهمية مرحلة التكوين

وهذان الأمران جديران بالدراسة المعمقة .. من أجل تحديد المطلوب من (الفرد) ومن (الجماعة) ومن (الأمة) . وتحديد ما يجب توفيره في ظروف الإنسان والزمان والمكان ، وتحديد منهج العمل الموصل إلى الأهداف .

وإنّ مما يساعد على تحديد ما سبق ذكره هو أن تدرك فصائل الحركة الإسلاميّة المهمة التي تروم القيام بها .. ومن ذلك على سبيل المثال : هل يجب على الحركة الإسلاميّة المعاصرة أن تقوم بعملية (ترميم) في بنية المجتمع القائم في حدود العالم الإسلامي جغرافياً ؟! أم أنها أمام عملية (تغيير) أسس المجتمع ؟! .

وسؤال كهذا ضروري ، لأن متطلبات (التغيير) تختلف عن متطلبات (الترميم) .. ومعرفة الحركة لطبيعة المهمة التي يجب أن تنهض بها يُلزمها بأن تجيب على سؤال : ما الذي يجب على الحركة أن تصنعه من أجل القيام بـ (الترميم) أو بـ (التغيير) .. ومعرفة ما يجب أن تصنعه الحركة الإسلاميّة لتحقيق ما تريد لا يكفي ، إذ لا بدّ من تحديد الطريقة التي تسلكها ، وهذه ترتبط بالطاقات وبالهدف .

إنّ هذه القضية على بساطتها غير مدركة اليوم كما ينبغي من قبل معظم فصائل الحركة الإسلاميّة .. ولذلك نرى أن غالبية أبناء التيار الإسلامي يعانون من (تشويهات فكرية) يعبرون عنها بأعمال يفوح منها الاضطراب والعفوية المفرطة والارتجال القاتل في كثير من الأحايين !! .

إنّ في استطاعة القائمين على العمل الإسلامي .. بعد مسلسل التجارب المخلصة المفتقرة إلى الصواب .. أن يستنقذوا أعداداً كبيرة من أبناء التيار الإسلامي .. إذا راجعوا بجرأة وجدية طريقتهم في فهم الإسلام .. وطريقتهم في دراسة الواقع .. وطريقتهم في تحديد الطريق الموصل إلى الأهداف .. وطريقتهم في التكوين والنمو والنضج الفردي والجماعي والمجتمعي .

وهذا يفرض أن يتزامن (التكوين) مع (تنظيم الجهود الفاعلة) مع (تهيئة أسباب النجاح في المجتمع) .. وبدون ذلك لن تؤتي الحركة الإسلاميّة ثمارها المرجوة ، وهذا يتطلب السير البصير نحو

الأهداف وفق مرحلية ملتزمة بتحقيق المصلحة ودرء المفسدة .

وهنا قد يقول قائل : إنّ كلامكم جميل .. ولكنه نظري !! . لأن أهل الباطل لن يتركوا الدعوة الإسلاميّة تسير إلى غايتها بسلام .. وسيعمدون إلى وضع العراقيل في طريقها ، فإذا حدث وأن تغلبت عليها فإن مؤامرة التصفية جاهزة .. بل إنّ فصائل متعددة قد جربت أسلوب (العمل السياسي) ولكنها حوصرت وضربت ولم يرعوا فيها إلاًّ ولا ذمة .. فهل نترك الطواغيت يفعلون بالدعوة والدعاة ما يريدون ؟! . أم علينا أن نحمل السلاح في مواجهة الطاغوت المسلح ؟! . فالله قد وعدنا إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة .

أمام هذا المنطق نقول :

أولاً : حين ندعو إلى وجوب الاهتمام بالمراحل التي ينبغي أن تمر بها جماعة الدعوة حتى تصل إلى استئناف حياة إسلامية وإقامة حكم إسلامي .. فإن هذا لا يعني –مهما تسلحنا بالحكمة والوعي– أن خصوم الإسلام المحليين والدوليين ، سيتركون الدعوة تعمل بأمان واطمئنان .. فورقة بن نوفل قالها كلمة رائعة يوم حدثه الرسول ﷺ بلقائه جبريل في غار حراء : « ... **لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ** ... » رواه البخاري . ولا يخفى علينا أن لكل عصر فنونه في العداء والإيذاء .

ثانياً : إنّ الذين يتحدثون عن المواجهة بين أهل الحق وأتباع الباطل .. يحصرون معنى المواجهة بـ (الصدام المسلح) .. وهذا غير جيد .. لأن (المواجهة) مفروضة منذ اللحظة الأولى للتحرك نحو المجتمع بقصد تحقيق أهداف الإسلام .. فالداعية يواجه المبطلين برفض باطلهم .. وهؤلاء يواجهونه برفض ما يدعوهم إليه .. وهذا يعني أننا نتحدث عن (وسائل المواجهة) وليس عن المواجهة .. فالوسائل هي المتعددة بحسب الظروف والحاجة .. فقد تستدعي ظروف وسيلة (كفوا أيديكم) و (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة) وقد تستدعي .. وقد تستدعي .. إلى آخر المُمْكِنات المُمَكّنات .

فالصبر في موطنه شجاعة .. وكفّ الأيدي في ظرف يناسب (الكف) شجاعة .. إلخ . فنحن ندعو إلى الشجاعة والإقدام لأنهما تعبير عن علم ووعي وشعور بالمسؤولية ، ونحذر من الارتجال والتهور .. لأنهما دليل جهل وسطحية . ونرى من الكبائر (مداهنة الظالمين) أو (الركون

إليهم) أو (الخوف منهم) خوفاً يقتل إرادة العمل .

ثالثاً : ونرى أن الأدلة ، من واقع التجربة ، قاطعة بأن دخول المعترك السياسي .. وخاصة في الشروط المجتمعية القائمة .. ضرب من الاستعجال .. وسبب من أسباب الضربات الموجهة للتيار الإسلامي .. لأن دخول ساحة المنافسة السياسية ، في ظروف بلادنا في هذه المرحلة ، يثير مراكز القرار في السلطة .. لأنهم يعتبرون المنافسة تهديداً مباشراً لوجودهم . وهذا لا يقبلونه .. ولا تتوفر في الأمة شروط إرغامهم على القبول بالمنافسة السياسية .

مما سبق يتضح أن الحركة الإسلاميّة في أمس الحاجة إلى قيادات جماعية تفقه مقتضيات إسلامها في ظروف العصر الذي تعيش أيامه ، وتسهر على تكوين حركة ربانية ترى أهداف الإسلام ببصيرة نافذة ، وتسلك الطريق المرسوم بصبر وحزم وجدية .

وإلى جانب تلك القيادة الدعوية الراشدة .. يجب أن يكون الجنود المطيعون في المنشط والمكره وعلى أثرة عليهم .. أما الذين تغلبهم العواطف المشبوبة ، ويتصرفون كما يروق لهم .. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. فإنهم يحدثون شروخاً في الحركة الإسلاميّة .. ولربما فرضوا على العاملين صراعاً ليسوا مستعدين لتحمل نتائجه .. وقد يجرون بعملهم على الأمة بلاء يزيدها ضعفاً إلى ضعف ، ويوفر فيها شروط التدخل الخارجي ..

فالعمل الجماعي وفق خطة ذات مراحل هو سبيل الحركة إلى الخروج مما تعانيه من انفعالات وتخبطات .. سببها الاجتهادات المتسرعة .. أو الوقوع في مصيدة الطواغيت .

همسة في أذن الدعاة

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي** » رواه الترمذي ، وروى ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « **خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ** » .

هذا النص الجامع من كلام النبوة يضع الداعية المسلم أمام حقيقة ينبغي أن يوليها اهتماماً

كبيراً ، وهي :

إنّ الداعية الذي يفيض الخير الذي عنده على الناس : بياناً وتعليماً ، وصبراً وعفواً ومعاملة كريمة ، وبذلاً للمال والجهد والوقت ، من أجل هدايتهم إلى الحق ، وتنفيرهم من الباطل ، وحملهم على النهوض بالواجبات .

إنّ على هذا الداعية أن يقدم الدليل الأقوى على تمكن دعوة الخير من قلبه وسلوكه . وهذا الدليل الأقوى يتمثل في تقديم الخير الذي يؤمن به إلى أقرب الناس إليه .. وهم أهله :

▪ فالداعية الذي يرى في أهله حاجة إلى علمه ، ولا يقدمه إليهم متعللاً بواجباته خارج البيت ، وفي العمل الإسلامي .. مخطيء كل الخطأ ، ويجب أن يراجع نفسه ويراقب ربه عزَّ وجلَّ القائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** ... ﴾ [التحريم: ٦] ، والداعية الذي لا يقدم نفسه داخل بيته معلماً ومربياً زاعماً أن (أزهد الناس في العالم أهله) يسيء إلى الحقيقة .. فأهل المرء يلتفتون إليه إن كان هو عظيماً داخل بيته أيضا .

▪ والداعية الذي يتجمل بالأخلاق الفاضلة الكريمة بين الناس ومع الناس .. فإذا دخل بيته تخلى عنها أو عن معظمها ، ينبغي أن يكون حياؤه من الله تعالى مانعاً له من التناقض وازدواجية الأخلاق .. فأهل الداعية أولى من غيرهم بقطف ثمار الأخلاق الحسنة التي يطالب الإسلام بها كل مؤمن ومؤمنة .

▪ والداعية الذي يلمس أن أهله في أمس الحاجة إلى من يساعدهم في أعباء واجباتهم المنـــزلية .. سواء كان سبب الحاجة المرض ، أو كثرة الأولاد ، أو عدم قدرة الزوجة الإنجازية على الوفاء بمتطلبات الأسرة مع بذلها كل ما بوسعها .. إلخ ..

إنّ المسلم الذي يرى حاجة أهله إلى المساعدة ، ولا يوفر وقتاً ولا يوطن نفسه على المشاركة بواجب البيت ، محتجاً بواجباته في مجال الدعوة .. إنّ على هذا الداعية أن يعلم أن أهله أولى بجهده –عند الحاجة– من الآخرين . وأن عليه أن يخفف من واجباته الخارجية لصالح واجب البيت .

الخلاصة :

إنّ التزام الداعية بمقتضيات إسلامه .. وخاصة في جانب الأخلاق .. داخل بيته ، هو أقوى

الأدلة على صدقه مع الله عزَّ وجلَّ ، وعلى مراقبته له ﷻ في الخلوة والجلوة ..

وإنّ قيام المسلم بواجب الدعوة والتعليم داخل بيته .. ونهوضه بجزء من واجبات المنـــزل عند الحاجة إليه .. يسهم كل ذلك في تهيئة الاستقرار والراحة والانسجام داخل البيت .. وهذه المعاني تعود على الداعية نفسه هدوءاً نفسياً وحيوية في الواجبات الخارجية .. فهل من مدكر ؟ .

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :

« **لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِم** » رواه الترمذي وغيره .

هذا الحديث العظيم يضع الداعية أمام ثلاث قضايا أساسية .. لها تأثيراتها في فلاحه أو هلاكه يوم القيامة .

القضية الأولى : تؤكد على أن (الوقت هو مستقبل المرء) فمن شغل وقته بما يرضي الله عزَّ وجلَّ ، حصد نتائج ذلك في حياته : علماً ووعياً ، واستقامة في الفهم وفي السلوك .. ونال بذلك رضواناً من الله يوم يقوم الناس لرب العالمين .. ولقد خص النبي ﷺ مرحلة الشباب باهتمام خاص .. نظراً لما لها من تأثيرات حاسمة في مستقبل حياة الإنسان .. وقد أحسن الشاعر في وصف هذه المرحلة حين قال :

إنّ الشـــبيبة نارٌ إن أردت بها أمراً فبادرْه إنّ الدهر مطفئها

فكيف يمضي كثير من أبناء الحركة الإسلاميّة أوقاتهم . وفي أي شيء يبلون شبابهم ؟ .

إنّ القلب ليحزن حين يرى المرء أن أوقاتاً ثمينة تضيع في أمور لا تعود بفوائد حقيقية على الفرد أو على الجماعة التي تحيط به .. وهذا من أهم أسباب ضعف الإنتاج .. سواء على مستوى التخطيط أو في إطار التنفيذ .. وضرب الأمثلة يوضح المقصود :

▪ إنّ ظاهرة (الشُّللية) المنتشرة بين كثير من أبناء الحركة الإسلاميّة .. تلتهم أوقاتهم ، وربما أقنعتهم أن لقاءاتهم ضرب من العمل الإسلامي . والمقصود بـ (الشُّللية) اجتماع مجموعة من الناس بهدف الاجتماع لا غير ، وتكرار ذلك تحت عنوان (دعم شبكة العلاقات الاجتماعية) إلى درجة

تصبح هذه اللقاءات فاقدة لمضمون يبارك العمر ويزكيه ، أو أنها تصرف عن واجبات أكثر فائدة منها .

وهذا الكلام لا يحمل في طياته الدعوة إلى قطع الصلات الاجتماعية بين الإسلاميّين .. فهذا لا يدعو إليه إلا مَوْتُور .. ولكنني أدعو إلى أن تكون (نوعية) الصلات ، و(حجمها) محققة لأهداف خيّرةٍ مباركة في حياة الفرد والجماعة .

▪ ونضرب مثلاً آخر بوسائل الاتصال (الإعلام) والثقافة .. إذ لا يخفى على أحد أن الوسائل المعاصرة (الصحف والمجلات ، والإذاعات ، والتلفزة ..) قد شغلت مساحة واسعة من وقت الإنسان .. وصرفته إلى حد كبير عن الوسائل الأساسية في تحصيل المعرفة والثقافة .

ولنأخذ مثلاً الأخبار اليومية التي تبثها وتنشرها وسائل مرئية ومسموعة ومقروءة .. ثم لننظر كم تأخذ الأخبار من وقت الإنسان ؟ ..

إنّ واقع كثير من الإسلاميّين يدل على أن طريقة متابعة الأخبار تستهلك بضع ساعات في كل يوم .. وخاصة عند الأزمات الحادة !! ، وإذا وسع الإنسان النظر في الأخبار اليومية الهامة ، التي تبثها وسائل الاتصال المختلفة .. فإنه يجد أن أصل الأخبار واحد لدى الجميع .. وأنّ الذي يميز وسيلة عن أخرى ينحصر في طريقة العرض ، وفي بعض التفاصيل الجزئية . فشغل الداعية وقته بمتابعة الخبر الواحد من خلال الوسائل المتعددة ، قد يقنعه بأنه يقوم بواجب سبر أغوار المشكلات، وأن هذا من شروط المعاصرة ! .

وتكون النتيجة –بمرور الزمن– انصراف الداعية عن شغل وقته بالأنفع من وسائل الثقافة والمعرفة ، مثل (الكتاب) .

وهذا الكلام لا يحمل الدعوة إلى قطع الصلة بوسائل الإعلام .. وخاصة إذا كان المسلم يحسن التعامل معها ولا تؤثر على فكره وسلوكه .. فمعرفة ما يجري في دنيا البشر فيها فوائد ولا تخلو من متعة .

فإذا لم يشغل الدعاة أوقاتهم بالتنقيب عن جزئيات الأخبار .. واكتفوا بسماع نشرة إخبارية تزودهم بأصل كل حادث .. واغتنموا ما لديهم من وقت مخصص للثقافة وتحصيل المعرفة بالقراءة الجادة المتنوعة الهادفة .. فإن هذا الجهد البصير يزودهم –من خلال الزمن– بقدرات نامية على فهم الأخبار وحسن التعامل معها .. أما إذا التهمت وسائل الاتصال جُلَّ أوقات الداعية ..

فإن الزمن يمر بسرعة ويخلف الداعية وراءه متخلفاً في رؤيته ومشاعره وتفاعله !! .

القضية الثانية : وتدور حول مسؤولية الفرد عن تعلم ما يجب عليه فعله أو تركه وعن العمل به ..

ولا يخفى على داعية مسؤوليته عن تحصيل العلم الذي يمكنه من رؤية الحجم الحقيقي لكل قضية ، ومن معرفة ارتباطها بجميع قضايا الإنسان وواجباته في ظروف الزمان والمكان ..

ولا يخفى على داعية أن ثمرة العلم العمل بمقتضياته .. وأن العمل لا ينحصر في الأعمال الظاهرة .. تركاً وأخذا .. بل يشمل جميع أعمال القلب .. تركاً وأخذاً .. أيضا .

وإنّ الحزن ليستبد بالقلب الغيور وهو يرى أن عامة أبناء الحركة الإسلاميّة يعانون من (أحادية اللون الثقافي) ؛ فهم لا يطلعون بعمق مقبول إلا على رأي معين وفكر معين .. وهذا سبب رئيسي في الحدة عند الخلاف ، وفي اعتقاد الصواب المطلق .. ثم إنّ كثرة كاثرة يقرؤون كتباً محدودة لكُتّاب معدودين ، ويتوقفون عن متابعة تحصيل المعرفة .. وربما رأوا أن تنويع مصادرها بلاء !! .. فإذا لم يختلط هؤلاء إلا بمن هم أقل منهم حظاً في العلم .. فإنهم يرون أنفسهم متقدمين !! .. ومثل هؤلاء يحملون مسؤولية جمود العمل الإسلامي .. فكراً وإنتاجاً .. عند حدود متدنية .. وخاصة إذا شغلوا مناصب قيادية في العمل !! .

وإنّ القلب لينفطر ألماً على إخفاق قطاع من الإسلاميّين في صبغ قلوبهم ونفسياتهم بمقتضيات العقيدة ، وبالأخلاق التي يحب الله أن يراها في قلوب وسلوك الداعين إلى الهدى .. وهذا يعني بصراحة أن عدداً من أزمات الحركة الإسلاميّة المعاصرة ، يرجع السبب فيها إلى مشكلات في العقيدة ، وإلى ضعف مشين في الأخلاق .

أخلص من هذه الإشارات إلى أن أبناء الحركة الإسلاميّة ، مطالبون بإعادة النظر في طريقة دراستهم للإسلام وللواقع .. وفي تحديد أفضل لمصادر الثقافة المتنوعة .. ومطالبون بالاهتمام الكبير الكبير بجانب التربية العملية والسلوكية .

القضية الثالثة : وتتعلق بمسؤولية المرء عن ماله .. كسباً وإنفاقا .. وأشير هنا إلى جانب واحد من هذا الموضوع المتشعب .. وهو موضوع (الجهاد المالي) الذي ينبغي أن يلتفت إليه الدعاة

والمربون .. لأن كثيرين من أبناء التيار الإسلامي على استعداد لأن يعطوك ساعات بل أياماً من أوقاتهم .. ولكنهم ينفقون القليل القليل من المال أو يبخلون !! . ولذلك نرى في العمل الإسلامي أزمات ومشكلات سببها الرئيسي ضعف الجانب المالي .. وفي الوقت نفسه ترى القادرين على الإنفاق والدعم المالي ينعمون بالمال وينفقونه يميناً وشمالاً بلا حساب .. فإذا دُعوا إلى إنفاق في سبيل الله عزَّ وجلّ .. فكروا وفكروا .. وترددوا .

إنّ المسلم الذي لا يبلغ علمه بحاجة العمل الإسلامي إلى المال درجة تحرك مشاعره .. وتدفعه إلى إنفاق بسخاء يقوم على احتسابه عند الله عزَّ وجلّ .. وخاصة في الليالي الحالكات والأزمات المهلكات التي تعصف بالمسلمين .. فعليه أن يعلم أنه مسؤول عن إسهامه في إضعاف مقاومة أمته أمام التحديات .

الدعاة وإصلاح العقيدة

ترمي الجماعات الإسلاميّة المعاصرة إلى تغيير الواقع الفاسد الذي يخيم في ربوع العالم الإسلامي ، وذلك بإقامة الحياة الإسلاميّة على مستوى الفرد والأمة ، وهذا يحقق أمرين :

١- وجود بيئة صالحة تساعد الفرد والمجتمع على الاستقامة والتطهر .
٢- وعمارة الأرض بحضارة بانية يتفيأ ظلالها المسلمون وغير المسلمين .

والمدقق في سبب اختلاف الجماعات وتعددها ، يرى بوضوح أن منهج العمل الذي تتبعه كل جماعة من أجل تغيير الواقع هو مصدر التباين والاختلاف ، ويرى المراقب أيضاً أن أكثر العاملين متفقون على (مصطلحات) يستخدمونها .. ولكن المشكلة تكمن في تحديد معاني المصطلحات عند كل جماعة في ميدان الاختيار والقرار والعمل .

ويعتبر مصطلح (العقيدة) أبرز مصطلح تتعدد فيه الآراء عند التطبيق .. على الرغم من اتفاق الجميع على أن إصلاح العقيدة أصل كل صلاح .. فما السبب في ذلك يا تُرى ؟!

إنّ رصد تاريخ استعمال مصطلح (العقيدة) وتطور المعاني التي اكتسبها من خلال الزمن ضروري ، لأنه يساعدنا في تحديد مجالات الاهتمام عندما نتحرك في الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ .. ، وسأكتفي برسم صورة عامة في خطوط كبرى تعيننا في طرح ما نرى ضرورة الالتفات إليه ونحن نمارس عملية التغيير .

إذا اعتبرنا مصطلح (العقيدة) مرادفاً لمصطلح (الإيمان) فإن معناه : (التصديق القلبي بأن جميع ما جاءنا به نبينا ﷺ في الوحيين : القرآن والسنة ، حق ، وأن ما عداه باطل) ﴿ ... **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ؟** ... ﴾ [يونس: ٣٢] ، وهذا الإيمان -كما يقرر علماء أهل السنة والجماعة- : (تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان) . وثمرة هذا الإيمان : تزويد الإنسان بالغاية من وجوده ، وبدوره في هذه الحياة ، وبالمنهج الذي ينبغي أن يتبعه ويحقق به غاية وجوده . وبهذا أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام . يقول عزَّ من قائل : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

ولقد كان الرعيل الأول -جيل الصحابة- عظيم الإيمان ، عاملاً بمقتضياته بكل ما أوتي من قوة ، ثم بدأ الضعف في العمل يدبّ في حياة جيل التابعين ، وكان التقصير محصوراً في أمور لا تمس الفرائض الكبرى ، كما أن المخالفة للأوامر لم تصل إلى كبائر الإثم والفواحش . عن أنس رضي الله عنه قال: « **إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَات** » رواه البخاري . (الموبقات) : المهلكات .

وباستمرار خط الانحراف في سيره .. برزت ظاهرة التقصير في الفرائض وتجاوز الحدود ، وظهر في الأمة فكر يعلل هذه الظاهرة ، ويقوم تعليله على فصل (العمل) عن مسمى (الإيمان) .. وكان هذا بداية فكر (المرجئة) الذين أبرزوا نصوص (الوعد) بالجنة لأهل الإيمان ، واستوى عندهم من عمل الصالحات ومن أسرف على نفسه !!

وظهر في المسلمين ردّان على ظاهرة الإرجاء :

أحدهما : شاذ رفضه علماء الأمة ، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : « والمعتزلة ، وسلفهم (الخوارج) أخذوا آيات الوعيد عامة ، فسووا بين معصية الشرك وما دونها . قال البخاري : « وكان ابن عمر يرى أن الخوارج شرار خلق الله ، ويقول : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين » .

والرد الآخر كان رأي أهل السنة والجماعة ، وقد برز من خلال ردهم على (المرجئة) مصطلحان ، هما : (**توحيد الربوبية**) و(**توحيد الألوهية**) ، وتركز ردّ أهل السنة والجماعة على إبراز المعاني الآتية :

إنّ توحيد الربوبية لا يكفي وحده في صحة الإيمان ، لأن هذا (التوحيد) قد يعترف به غير المسلمين ، يقول الله عزَّ وجلَّ في حقِّ الكفار : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ؟ لَيَقُولُنَّ : خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الزخرف: ٩] وهذا النوع من الإيمان لا ينجي العبد إلا إذا أخذ معناه الموحى به من عند الله ، وأضيف إليه أيضاً (توحيد الألوهية) الذي يقرر أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وأن رحمة الله قريب من المحسنين ، وقد كان إمام التابعين الحسن البصري رحمه الله تعالى من أوائل المتصدين لفكر المرجئة ، روى الطبراني عنه أنه قال : (إنّ قوماً ألهتهم أمانيُّ المغفرة ، ورجاء الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة . يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله ، وكذب ، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك)

ثم مرت الأيام .. وإذ بقضايا جديدة تتسرب إلى فكر كثير ممن ينتسبون إلى العلم ، وهذه القضايا طرحتها الفلسفة الإغريقية حين احتك المسلمون بأهلها ، وخاصة بعد ترجمة كتب من الثقافة اليونانية إلى العربيّة .. وبرزت ظاهرة العلاقة بين (العقل) و(النقل) أي : مقررات العقل البشري (الفلسفة الإغريقية) ، ومقررات الوحي (القرآن والسنة) . وكانت أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العليا ، من أهم المسائل التي اختل فهمها نتيجة تحكيم مقررات الفلسفة بالنص القرآني والحديث النبوي ، وإذا بعقيدة المسلمين تعرض بمصطلحات الفلسفة ، وإذا بمقاييس الفلسفة ومعاييرها تحكم على النصوص وتحدد معانيها ، ونتيجة لذلك ظهر في الفكر الإسلامي (تأويل آيات الأسماء والصفات) الواردة في القرآن ، وفي السنة المتواترة ، وأما ما ورد في الحديث الصحيح من أمور اعتقادية فردوه بدعوى ظنية ثبوته ، وهو ما عبروا عنه بـ (حديث الآحاد) !! .

حين برزت هذه الظاهرة الخطيرة .. نهضت الطائفة الظاهرة على الحق منكرة طريقة (علم الكلام) في تقرير الحقائق الاعتقادية ، وظهر حينئذ مصطلح (توحيد الأسماء والصفات) وخلاصته : يجب أن نؤمن بما وصف الله تعالى به نفسه ، وما وصفه به رسوله ﷺ في الوحيين : القرآن والسنة،

من غير تفريق بين سنة متواترة وسنة آحاد ، ولا يجوز تأويل الأسماء والصفات أو تعطيلها بحجة التنـــزيه ولا يجوز تمثيلها . فالله تعالى : ﴿ ... **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١] .

وتزامن مع ظهور فكر المرجئة وفكر المتفلسفة .. ظهور الفكر الصوفي الذي امتزج بالفلسفة وكان له أثره في مجالات كثيرة ، ونشير هنا إلى ما أحدثه هذا الفكر من عبادات ، وما اعتمده من رياضيات ، فهب المخلصون من العلماء يبينون أن من التوحيد (توحيد الاتباع) فما جاء في الوحيين يتقرب به العبد إلى الله تعالى ، وما لم يأت فيهما هو البدعة ، وشر أنواع البدع ما كان اعتقاديا .

وازداد خط الانحراف في الانفراج إلى أن ظهر في المسلمين (أمية العلم والثقافة ، وأمية القراءة والكتابة) .. فجهل كثير من الناس دينهم وجزَّؤوه في حياتهم .. وساعد على ذلك الفكر الصوفي .. وظهر الفسق والفجور بقوة حتى صار هو الأصل ، وأصبح الذين يخافون الله ، فيحلون الحلال ويحرمون الحرام ، قلة لا يؤبه لهم .. أما مراكز العلم فقد سيطر عليها التقليد ، وابتعد العلماء عن الاهتمام بشؤون الأمة ، بل إنّ معظمهم فقد الشعور بواجبه في هذا المجال ، وقبض على أزمة الحكم في أنحاء العالم الإسلاميّ رجال غير صالحين .. لا همَّ لهم إلا إشباع الشهوات !!

وحين وصلت أمتنا إلى حضيض الضعف والتخلف العقدي والسلوكي والعلمي والحياتي .. ظهرت دول أوروبية على مسرح الحياة تملك علماً وصناعة وإدارة وقوة .. فاتجهت في أرجاء المعمورة .. ودخلت إلى معظم بلدان العالم الإسلاميّ .. استغلت أوروبا الاستعمارية ضعف المسلمين وتخلفهم وبدأت بضخ نظرتها إلى الكون والحياة والإنسان وروجت لأفكارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وأقصت بهدوء ما تبقى من الإسلام في أروقة القضاء .. وأبقت على (الأحوال الشخصية) .. وحين فعلت ذلك لم تجد مقاومة تذكر .. لأن المسلمين أنفسهم كانوا قد ابتعدوا عن العمل بالإسلام في حياتهم الفردية والأسرية وما إلى ذلك . وهكذا تمكن الغرب من فصل الدين عن الحياة تحت ستار (العلمانية) .

ويوم وقعت مأساة السقوط .. وهجم الأوروبيون يقتطعون أجزاء من جسم أمتنا .. استيقظ ناس صالحون وباشروا بالدعوة إلى تحرير الأرض .. وإلى تحرير الفكر والتشريع من آثار الجهل الذاتي والهجمة الخارجية .. ونشبت معركة فكرية علمية في طول العالم الإسلاميّ وعرضه..

تمكن من خلالها الدعاة أن يبرزوا كثيراً من حقائق الإسلام ، وكان من أهم المصطلحات التي اهتمت بها الحركات الإسلاميّة ذات الطابع الشمولي مصطلح (الحاكمية) أو (توحيد التشريع) ؛ فأظهرت الحركات من خلاله أن الإسلام دين ، والدولة جزء من الأنظمة التي شرعها لتحقيق العبودية وتحقيق مصالح العباد ، وأنه لا يوجد أمر صغير أو كبير إلا ولله تعالى فيه حكم ، فالإسلام نظام حياة شامل كامل ، ومقاليد الأمور ينبغي أن تنتزع من أيدي الطغاة المفسدين ليأخذها رجال صالحون مصلحون . واستطاعت الحركات الإسلاميّة أن تقيم الحجة على أن الأخذ ببعض الإسلام وترك البعض الآخر ضرب من الكفر ﴿ ... **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٥] .

من هذا العرض المكثف نسجل النتائج الآتية :

▪ إنّ الحركات الإسلاميّة المعاصرة قدمت خدمات جليلة في مجال نصرة الإسلام وإعادة الثقة به على أنه سبيل الخلاص الوحيد للمسلمين في الدنيا والآخرة . وهذا يمثل جانباً أساسياً في التصور الاعتقادي .

▪ ولكن الملاحظ على كثير من العاملين في حقل الدعوة ، سواء كانوا حركات أم أفراداً ، أن اهتمامهم بقضايا العقيدة ، يتصف بالجزئية ، أي أنهم يهتمون ببعض الجوانب وينسون أو يهمشون جوانب أخرى ، وهذا باب من الضعف أو النقص نرجو أن يتدارك في وقت قريب ، وهذا يعني أن على الحركات أن تهتم بعقيدة أبنائها اهتماماً شمولياً ، فلا يصح أن تركز لهم على مسائل وتترك أخرى يأخذونها من البيئة أو ممن ليسوا مؤهلين لإعطاء عقيدة أهل السنة والجماعة .. وهذا الأمر –للأسف– فيه شيء من التهاون .

▪ لذلك ندعو جميع العاملين إلى الاهتمام بقضايا العقيدة سواء كانت من باب (توحيد الربوبية) أو (توحيد الألوهية) أو (توحيد الأسماء والصفات) أو (توحيد الاتباع) أو (توحيد التشريع) أو غير ذلك مما يفرض علينا الإسلام معالجته .

والقضية ليست قضية تخصص .. وإنما على الجميع أن ينهضوا بواجب البيان والتعليم والدعوة حسب مقتضيات الظروف المحيطة ، بمعنى : إذا كنا في جماعة فهمت جانباً من العقيدة و لم

تدرك بعد جوانب أخرى ، فإن الواجب يدعونا إلى توضيح الجوانب التي يجهلونها مع ربطها بالفكرة الشمولية المتوازنة للإسلام .

▪ والقول بأن إصلاح العقيدة هو أصل الإصلاح والتغيير ، يلزمنا جميعاً بالعمل على معرفة (العقيدة) معرفة تنجينا عند الله عزَّ وجلَّ ، ومن ثم تبليغها إلى الناس كما هي في القرآن والسنة ..

الإسلام أقوى .. فلا تهنوا

يلتزم الفكر الإسلامي المعاصر .. في تحديد مواقفه من قضايا الأمة الأساسية .. بما استنبطه العلماء المحققون من نصوص القرآن والسنة في كافة العصور .. ومن جملة ما اجتمعت عليه كلمة الأمة .. أنه إذا هجم عدو على أرض الإسلام فانتزع منها جزءاً .. فقد وجب على جميع المسلمين أن يهبوا لتحرير ما احتل العدو المغير .

ويقرر أهل العلم أيضاً أنه لا يجوز التنازل عن أرض الإسلام لعدو قاهر .. فإذا كانت الأمة (قيادة وشعباً) عاجزة عن منازلة الأعداء واسترداد الأراضي المغتصبة .. فإنه يجوز أن تهادن الأمة عدوها ، والهدنة تعني : التوقف عن المواجهة المسلحة إلى أمد .. على أن تبقى فكرة التحرير حاضرة في ذاكرة الأمة باستمرار ؛ وهذا الذي يجدد فيها العزيمة ، ويدفعها إلى مراجعة أوضاعها وتحسين شأنها .. استعداداً لمنازلة الغزاة وطردهم من دار الإسلام .

وموقف الإسلام –الذي ذكرناه آنفاً– هو موقف الفطرة .. فما من أمة في الوجود تقبل بأن يحتل جزءاً منها عدو مغير .. بل إنّ الأمم الحية تجعل تحرير أراضيها من براثن المعتدين (قضية قومية) بلغة العصر ، أي : مصيرية ؛ تحشد لها الطاقات ، وتبذل من أجلها النفس والنفيس . ولا ينكر عاقل منصف على أمة .. تكافح عدواً قاهراً .. ما تقوم به من أعمال وما تقدمه من تضحيات .. بل إنّ الشرائع الوضعية ، والاتفاقات الدولية ، ومواثيق حقوق الإنسان .. إلخ ؛ تدين المعتدين ، وتبيح حمل السلاح والقتال طلباً لاسترداد الكرامة وتحرير الأرض .. ليس هذا فحسب ،

بل وتذهب الشرعية الدولية المعاصرة -نظرياً على الأقل- إلى وجوب مساعدة المعتدى على بلادهم .. إلى أن يرحل المحتلون الغاصبون .

هذه القضية البدهية اختلت في عدد من المواطن التي وقع فيها اضطراب ، وخاصة إذا كانت الضحية من المسلمين .. والمثل الصارخ على هذا الاختلال نلمسه ونراه في كبرى قضايا المسلمين (**فلسطين**) . وقصة مأساتها معروفة لدى جميع البشر .. والعجيب الغريب في هذه المأساة هو أن (الغرب) .. لم يكتف بإقامة دولة جمع لها يهوداً من أصقاع المعمورة .. وأباح لهم اقتلاع أصحاب فلسطين من أراضيهم .. وساعدهم بالسلاح والمال والإعلام .. والحماية .. إن اقتضى الأمر لتمكينهم من تنفيذ جريمتهم !!!

نقول : لم يكتف الغرب بزرع جسم غريب في جسد أمتنا .. يستنزف طاقاتها .. بل قرر ساسة الغرب بالتواطؤ مع يهود .. أن تكون خطوتهم الثانية : (**فرض الهزيمة النفسية ، والفكرية ، والثقافية ، والاقتصادية** ..) على المسلمين .. وتوسلوا إلى تحقيق ذلك برفع شعار .. محبب إلى النفس البشرية .. ألا وهو (السلام) الذي بات يعني : أن تعلن الأمة قبولها بوجود يهود في معظم أرجاء فلسطين .. وأن تعترف لهم باستمرار التفوق العسكري .. وأن تنتهي مع دولة يهود كل أنواع الخصومة والمقاطعة .. وأن يسمح ليهود بالدخول إلى حياتنا وأذواقنا وهوائنا وبيوتنا دون رقيب أو حسيب .

ولما كان تحقيق هذا الطلب عسيراً في ظروف عادية .. كان لا بد من تمرير المنطقة بسلسلة من المشكلات والخصومات والأزمات الحادة .. إلى أن وصل الأمر إلى ما نراه ونسمعه من ضروب (الاستسلام الفكري الثقافي ، والهوان النفسي) على المستويين : الرسمي والشعبي !!

هذه الأوضاع الرهيبة التي تعبث بالإنسان .. وتضغط على (ثوابت) الأمة المسلمة من أجل زعزعتها في القلوب .. تفرض على الطليعة المسلمة متمثلة في حركات ودعاة .. واجبات جساما.. لأن هذه (الهجمة الإذلالية) ترمي إلى تحقيق عدد من الأهداف .. داخل المنطقة الإسلاميّة وخارجها .. ويأتي في مقدمة الأهداف الداخلية المتوخاة : فصل دعاة الإسلام عن جماهير الأمة المسحوقين المتعبين .. وإشعال نار الفتنة بين مؤيدين لمشاريع الاستسلام باسم (السلام) .. وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا !! .. وبين الرافضين لخطوات الذل والضياع .. بصرف النظر عن صورة إخراج المأساة .

ولا ريب في أن الهجمة الإذلالية التي تظهر بصورة مأساوية في محنة فلسطين المسلمة –وهي ليست محصورة فيها– سيكون لها نتائجها الفكرية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية على امتداد العالم الإسلامي الضعيف المتهاوي .. وهذه الهجمة الآثمة تفرض على فصائل الحركة الإسلاميّة تجنيد الطاقات كافة ، وتحريض جميع الكفاءات ، من أجل تحديد الطريقة التي تواجه بها الأمة هجمة الجشع الغربي – اليهودي المتجددة والمتطورة .. في ظروف (التجزئة) وفي ظروف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل دول التجزئة وخارجها .

إنّ دعاة الإسلام قادرون –بإذن الله تعالى– على خوض المعركة وتحقيق الانتصارات ، التي تخرج بالمسلمين من ذل الاستضعاف .. بشرط : أن يخلصوا لله وأن يحسنوا العمل . لأن أحد أسباب تجديد الهجوم على العالم الإسلامي هو : انتشار الإسلام في الفئة الفاعلة على امتداد البلاد الإسلاميّة .. وهذا الانتشار بات يهدد (مواقع الغرب وحصونه) التي بناها داخل بلادنا ..

ولعل ضرب المثل يوحي بالأمل .. لذلك أقول : ينطلق الفكر الإسلامي المعاصر من أن أكبر مصيبة نزلت بالمسلمين في تاريخهم هي : استيلاء فكر الغزاة الأوروبيين وفلسفتهم على مساحات شاسعة من عقول القوى الفاعلة في جميع أرجاء العالم الإسلامي .. وهذا الذي أقنع الأوروبيين بفائدة سحب جيوشهم من البلاد التي احتلوها .. لأن المتغربين سيسيرون على خطى الغرب ، تحت عنوان (التنوير) و (التحديث) وسيعمل هؤلاء –بوعي أم بجهل– على مصادرة الإسلام وإبعاده عن التأثير في مجرى الحياة . **وأستشهد هنا على صحة هذا التحليل بما قاله القس (زويمر) في خطبته الشهيرة التي ألقاها في مدينة القدس ، في فترة الهيمنة البريطانية ، فقد قال مخاطباً مؤتمراً للمبشرين :**

{ .. لقد أديتم الرسالة التي أنيطت بكم أحسن الأداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق ، وإن كان يخيل إليّ أنه مع إتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية منه ..

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في

حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلاميّة ، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ..

لقد قبضنا ، أيها الإخوان ، في هذه الحقبة من الدهر ، من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلاميّة ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية .

والفضل إليكم أيها الزملاء ، إنكم أعددتم ، بوسائلكم ، جميع العقول في الممالك الإسلاميّة، إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد .

إنكم أعددتم شباباً في ديار المسلمين ، لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام و لم تدخلوه في المسيحية . وبالتالي جاء النشئ الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار :

- لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل .
- ولا يعرف همّه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء } – انتهى كلام زويمر

ومرت الأيام .. وإذا بالفكرة الإسلاميّة تتحرك من جديد في أمتنا .. بفضل جهود دعاة أوفياء .. وما زالت دعوة الخير والحق تنتقل من قلب إلى قلب ، وتنتشر في جميع فئات الأمة المسلمة .. إلى أن وصلت درجة تهديد حصون التغريب ، وقلاع الاستلاب الحضاري .. وهذا الذي أقلق الفئة المارقة من إسلامها ومن انتمائها إلى أمتنا .. ودفع أنظمة حكم طاغوتية غريبة الفكر والنهج .. كالحكومة المصرية –على سبيل المثال لا الحصر– إلى التصريح بأن (المتطرفين) ، ويعنون بذلك (دعاة الإسلام) !! ، قد اخترقوا (التعليم) وأنه لا بد من خطة مواجهة صارمة ، تكفل تخليص هذه المؤسسة الحيوية من الفكر الأصولي المتطرف .. ويعنون به : الفكر الإسلامي العزيز الأصيل المحرر .. الذي يرفض فكرهم الذليل الدخيل ، التابع لمراكز الاستكبار والاستغلال العالمية .

خلاصة وبيان

إنّ كلامنا السابق يضعنا أمام عدد من الواجبات ، نذكرها مركّزة في كلمات :

أولاً : إنّ على الدعاة إلى الله عزَّ وجلّ .. حركات وتيارات وأفرادا .. أن يهتموا بتثبيت مقررات نصوص القرآن والسنة .. المتعلقة بتحرير الأرض المسلمة التي سيطر عليها الأعداء ، سواء كانت فلسطين أو غيرها من أراضي المسلمين .

ثانياً : وعلى دعاة الإسلام أن يكونوا .. الأمل الباسم .. في ظلمات عمليات مسخ الإنسان المسلم .. التي تقوم على القهر والاستبداد والفقر والقتل .. التي يمارسها حكّام ينتسبون إلينا ، ويتكلمون بألسنتنا ، إلا أنّ قلوبهم قلوب ساسة الغرب وأعداء الإنسان .

ولن يكون دعاة الإسلام أملاً باسماً إلا إذا التحموا بالجماهير المسلمة .. وقادوها في ساحة العمل البناء إلى التحرر من الطاغوت الداخلي والخارجي .

ثالثاً : ويجب على حملة رسالة الإسلام العظيم .. أن يرفعوا جهدهم وطرائق جهادهم إلى مستوى مواجهة (تصعيد الهجمة الإذلالية) التي يتولى كِبَرَها الطاغوت الأمريكي . لأن هذه الهجمة قد نالت من يقين الأمة ، وأصابت كثيرين بيأس وإحباط واستسلام .

رابعاً : إنّ على الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ أن يقنعوا المسلمين المستضعفين اليوم ، أن أعداء أمتنا الداخليين والخارجيين .. بشر .. وأن أمتنا قادرة على قهر أحابيلهم ، وإبطال سحرهم ، ودحر قوتهم .. بشرط أن يحسن المسلمون .. كأمة وليس كأفراد .. العمل ، وأن يعتمدوا على الله الواحد القهار ، الذي وعد وعداً سيبقى قائماً إلى أن يشاء ﷻ ، وذلك في قوله :

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩] .

خامساً : ويجب أن يعلم دعاة الإسلام ، وأن يعلِّموا المسلمين ، أن (التمكين) .. عند فقدان السلطان الحقيقي .. لا يكون إلا بعد ابتلاء ممزوج بخوف كبير .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور :٥٥] .

إنّ ما ذكرناه من الوعود الربانية .. وما أشرنا إليه من واقعنا المعاصر .. ليعطي الدليل بأن الإسلام أقوى طواغيت البشر .. وأن النصر آت لا ريب فيه .. فلا تهنوا يا معشر المسلمين .. واعملوا صالحاً وأبشروا بنصر الله تعالى .

احرصوا على الاستقلال .. وعليكم بالحوار

لقد أتى على الإسلاميّين حين من الدهر ، كانوا يرون مجرد الاتصال بممثل دولة أجنبية (شبهة) أو (تهمة) تثير حول من لا يرى في ذلك بأساً ألوانَ الشكوك والمخاوف والحذر .

وكان جوّ الصراع بين شرق اشتراكي وبين غرب رأسمالي ، يغري بعض الإسلاميّين بالاستفادة من ظرف المواجهة بين الأنظمة الحاكمة بأمرها في بلاد المسلمين والموالية لإحدى القوتين الدوليتين . وتُظهر النظرةُ الفاحصة إلى تلك المرحلة بملابساتها ، أن عامة الذين رأوا مهادنة أنظمة لمواجهة أخرى ، قد مالوا إلى التعامل مع الأنظمة التي توصف بـ (المحافظة) ، أي التي تتبنى الفكرة الغربية الرأسمالية ، وإن كان كل نظام يتمسك بخصوصياته السياسية . وتُبرز النظرةُ المتأملة أيضاً أن الأنظمة (اليمينية) استطاعت أن تسخر طاقات إسلامية في حربها مع الأنظمة (اليسارية) ومع التيار الاشتراكي .

ولست هنا في مقام تقويم هذا الرأي ، الذي أرى أن المخلصين ممن تبنوه مخطؤون ، وإنما أردت أن أشير إلى أن زوال مرحلة القطبين الدوليين ، قد أفقد الأنظمة التي كانت موالية للغرب مكانتها إلى حد كبير ، إذ لم تعد الدول الغربية في حاجة إلى جهود تلك الأنظمة في تطويق الخصم الشيوعي ، أما الأنظمة التي كانت تسير في فلك الاتحاد السوفييتي المنهار ، فإنها وجدت نفسها دون سند عالمي تأوي إليه ، ورأت أنه لا بد من اللجوء إلى الزعامة الجديدة (أمريكا) ، التي أحسنت استغلال هذه الحالة النفسية .

وهذه المتغيرات الدولية أفقدت الفصيل الإسلامي -الذي كان يرى وجوب الاستفادة من جو الصراعات -كثيراً من وزنه ، الذي كان له اعتبار ما في ماضيات الأيام ، إذ لم تعد هناك حاجة كبيرة إلى الرموز الإسلاميّة ، الفردية والجماعية ، لكي تستخدمها الأنظمة المتصارعة في حروبها . هذا من ناحية .

وإذا نظرنا إلى ناحية أخرى .. فإننا نعلم أن العالم الإسلامي ليس راكداً ، ولعل حركة الفكر الإسلامي أبرز دليل على الصراع الثقافي المحتدم في جوف المجتمع المسلم في أوضاعه الراهنة المؤلمة .. والحق أن الحركة الإسلاميّة عبارة عن حركة معارضة -في الاصطلاح السياسي المعاصر-؛ فهي :

- تتبنى الإسلام .. في مواجهة (تغريب العالم الإسلامي وعلمنته) .
- وتدعو إلى الوحدة .. في مواجهة (التجزئة) التي تحرسها قوى خارجية ، وتعض عليها بالنواجذ قوى محلية منتفعة !!
- وتنادي بالاستقلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي .. في مواجهة (التبعية والذيلية) للقوى الخارجية الباغية .
- وتصر على تحرير الأرض المسلمة .. في مواجهة الغزو الاستيطاني وما أفرزه من هزيمة نفسية واستسلام ومهانة .
- و .. و .. إلى آخر ما يفرضه الإسلام على المسلمين في واقع العالم الإسلامي المعاصر .

إنّ ظهور التيار الإسلامي -الواعد بالامتداد والانتشار ، وبزعزعة قلاع التغريب وتهديم حصون الاستلاب الحضاري- دفع بعض الأنظمة ، وبخاصة العربيّة ، إلى مواجهة التيار الإسلامي بقوة وقسوة ، واختارت أنظمة أخرى تصنيف الإسلاميّين إلى (متطرفين) وإلى (معتدلين) ، ورأت هذه الأنظمة أنه لا بأس من السماح لـ (المعتدلين) بالتحرك ضمن أطر معينة ، واحتفظ كل نظام باجتهاده الخاص في صور الإخراج .

ورافق الاحتكاكَ الساخنَ ، بين فصائل من التيار الإسلامي وبين أنظمة الحكم في عدد من الأقطار الإسلاميّة ، بالإضافة إلى المتغيرات الدولية ، بروز (وجهة نظر) تتبنى فكرة (التفاهم مع الأنظمة الحالية) وتحاشي كل ما يغضبها غضباً يخرجها عن سياستها تجاه (المعتدلين) ، وتنوعت صور التفاهم والبعد عن التصادم من قطر إلى قطر ، ومن تيار إسلامي إلى آخر ، ودخلت الساحة

الإسلامية في عدد من الأقطار في خصومة شديدة حول (الموقف من أنظمة الحكم) وحول (طريقة التعامل معها) ، و لم يسلم من هذه الخصومة حتى أولئك الذين وُصِفوا بأنهم (معتدلون) ، إذ تباينوا في الحدود التي لا يصح تجاوزها عند التعامل مع الأوضاع السياسية المفروضة بالقوة على أمتنا .

ولقد كان للمتغيرات العالمية تأثير في إقناع فريق من الإسلاميين :

- بوجوب الاعتراف بـ (الديمقراطية الغربية) على أنها الصورة المثلى لتنظيم الحياة السياسية!! .
- وبضرورة التفاهم مع الغرب ، وتأتي في مقدمته أمريكا ، إذا أردنا تجنيب بلادنا كثيراً من الويلات والكوارث .
- وبحكمة فتح (حوار مباشر) مع الإدارة الأمريكية والدول الأوروبية ، حتى يتعرف السياسيون على فكرنا بطريق صحيح .. إلى آخر قائمة ما يفرزه هذا الاتجاه ويفرضه على سالكيه.

والذي يهمنا هنا هو أن أمريكا لم تعد تتهيب من الاتصال المباشر والعلني مع من تسميهم (المعارضة) ، وقد حصلت بالفعل لقاءات بين إسلاميين وبين الإدارة الأمريكية ، وساهمت دول أوروبية في الحوار والحديث المباشر مع إسلاميين ..

وبدهي أن أمريكا وأوروبا ما كانوا ليصنعوا هذا مع معارضة سياسية ، لولا أنهم يرغبون في الإمساك بخيوط المستقبل ، علماً بأن هذا المسلك يعطيهم -في الظروف القائمة- قوة ضغط على الأنظمة التي فقدت كثيراً من أهميتها (الاستراتيجية) بعد الحرب الباردة . وبدهي أيضاً أن دول الغرب تريد (تدجين) زعامات إسلامية ، تحسباً لمفاجآت المستقبل . فإن أفلحت -ولو جزئياً- فإنها تضمن على الأقل (بلبلة الفكر وتشويه الممارسة) ، وهذا في حد ذاته نصر كبير ، ولا يغيب عن لبيب أن دول الغرب صاحبة تجربة عريقة مع أنظمة ترفع شعار الإسلام ، بل وفيها من يدعي تطبيق الشريعة ، إلا أن الحقيقة تشهد بضد ما يدعون .

هذه الأوضاع -التي أشرنا إلى معالمها الكبرى- بدأت تجر الساحة الإسلاميّة إلى صراع فكري داخلي رهيب .. قد يصرف طاقات عزيزة كريمة عن الواجبات الكبيرة ، وعن مواجهة التحديات الخطيرة . بل إنّ عدداً من الأقطار قد دخلت في معركة نالت من العقول ، ومن القلوب ، وذهبت في أخرى إلى أبعد من ذلك !! .

لهذا فإننا ندعو جميع فصائل الحركة الإسلاميّة إلى أمور نراها مخرجة للجميع من إشكاليات كثيرة ، إذا أخذنا بها ظاهراً وباطناً :

أولاً : ينبغي أن تصر الحركة على (الاستقلال) عن أنظمة الحكم المحلية الفاسدة الظالمة ، الساعية إلى تسخير فصائل من التيار الإسلامي من أجل مواجهة خصومها السياسيين ؛ سواء كانوا إسلاميين أم ليسوا متبنين للإسلام .

ثانياً : يجب أن يعيد العاملون ، وأهل القرار في الجماعات ، النظر في الوسائل التي يرونها مفيدة ، وأن يبتعدوا عن الوقوع في (الاستعجال) ، وعليهم أن يوفروا شروط (الحوار الأخوي) من أجل التوصل إلى منهج عمل يتناسب مع الأوضاع الداخلية والعالمية .

ثالثاً : ونأمل أن يفرق الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ بين (الحوار الذي تدعو إليه أمريكا ودول غربية) وبين (الحوار الذي أمرنا به الإسلام ، تبليغاً للرسالة وأداءً للأمانة واطلاعاً على ما عند الآخرين) . ونشير إلى أن انعدام شرط (النِّديَّة) يكفي لكي تصرف الحركات الإسلاميّة النظر عن الحوار مع الحكومات المستكبرة ، والتي تريد من الحوار مع دول قائمة (التبعية والخضوع لسياستها ورغباتها) فكيف إذا جلست مع حركات ؟! . ونضرب مثلاً يلمسه كل إنسان سوي ، ونأخذه من قضية المسلمين الكبرى (فلسطين) ، فأمريكا تريد من القوى السياسية ، سواء كانت إسلامية أم علمانية ، أن تعترف بضياع فلسطين ، وأن تعمل على تطبيع العلاقات مع محتلي فلسطيننا ، لأن هذا يحقق لأمريكا مصالح كبيرة . لذلك نحذر الراغبين في الحوار مع الحكومات الغربية من التورط في مشكلات عويصة ، قد تقودهم -كما قادت بالأمس أناساً دخلوا لعبة التناقض مع الأنظمة العربيّة- إلى تحوير الفكر وتبرير ممارسات الأنظمة الفاسدة ، بدعوى (العقلانية) و (المعاصرة) ، و (الاستفادة من الظرف الحالي) .

فإلى استقلال الإرادة ، وتميز المواقف ، والحوار الأخوي الجاد الهادف .. ندعو إخواننا العاملين في الحقل الإسلامي ، ونحذرهم من الوقوع في شباك الأنظمة الطاغوتية ، ومن الانصياع أمام القوى العالمية ؛ التي ترغب في تحوير أهداف الإنسان المسلم ، وفي العبث بقيمه وطاقاته ، وتحويله إلى تابع ذليل .

اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد .

من أصول العمل الجماعي

ليس في دنيا البشر عمل ، من طبيعته أن تجتمع جهود مجموعة من الناس لإنجازه ، إلاّ ويطرح عدداً من القضايا : من يقود ؟ ومن يخطط ؟ ومن ينفذ ؟ وكيف تُقوَّم الأعمال وتُصَوَّب المسيرة ؟ .. إلى آخره . وهذا أمر طبيعي ، لأن الله عزَّ وجلَّ فطر الناس متباينين في المواهب والمعرفة والإمكانات .

وفي كل عمل بشري جماعي يظهر –ضرورة– فريقان :

- فريق ترشحه مواهبه وإمكاناته لأن يكون عقل العمل الجماعي .. به تفكر الجماعة وتتخذ المواقف ، وتجمع حول ما تدعو إليه الطاقات .. وهذا الفريق يشكل القيادة .
- وفريق يأخذ دور الجسم المنفذ لمقررات القيادة .. وهذا الفريق يسمى اليوم القاعدة .

وما الأعمال الجليلة في حياة الناس ، إلاّ ثمرة توافق وانسجام بين عقل يفكر (يأمر) ، ويد تنفذ (تسمع وتطيع) .

وبما أن العمل الإسلاميّ جهد بشري جماعي ، فإنه لا يشذ عن القاعدة التي سلف ذكرها .. وهذه القاعدة تعني أن هناك أموراً يجب أن تنهض بها القيادة .. وأخرى يجب أن تتوفر في القاعدة .. وفي هذه السطور لا نستطيع التعرض إلى ذكر واجبات كل من القيادة والقاعدة ونكتفي بالإشارة إلى أبرز الواجبات وأجمعها في تقديرنا .

أولاً : أبرز ما يجب على القيادة :

- تحديد الأهداف ، وتوضيحها ، مع بيان السبيل الموصلة إلى تحقيقها .
- بيان أبعاد العهود لمن يوافق على الانتظام في سلك العمل الجماعي ، ليكون على بينة من أمره ، وهذا ما حرص النبي ﷺ على بيانه للعصبة الذين بايعوه على الإسلام ، ونضرب على ذلك مثلاً (بيعة العقبة) التي كانت قبل قيام الكيان السياسي المستقل للجماعة المسلمة .
- العمل على الارتقاء بالطاقات المتوفرة بحيث تكون أكثر قدرة على القيام بالواجب .. وتوجيه الجهود إلى ساحة العمل الإيجابي الهادف .

ثانياً : أهم ما يجب على الأفراد :

- إدراك حقيقة العهود التي يقطعها الفرد على نفسه ، والعمل في حدود الوسع والطاقة على الوفاء بها .
- معرفة أصول (التعاون على البرّ والتقوى) (لا على الإثم والعدوان) معرفة شرعية بحيث يستطيع الفرد تحديد ما يجب فعله وما لا يجوز العمل به .. وهذه المسألة في غاية الأهمية والخطورة .
- توطين النفس على (السمع والطاعة) وإن خالفت الأوامر وجهة نظر الفرد الاجتهادية .

من المقطوع به –نظرياً– أن المعاني المذكورة آنفاً متوفرة في كل عمل جماعي .. ولكن الواقع يدل على غير ذلك .. فالعمل الإسلاميّ الجماعي ، في عدد كبير من أرجاء المعمورة ، يعاني من مشكلات حادّة ، ليس سببها العدو الخارجي .. بل يرجع السبب فيها إلى العاملين أنفسهم في الحقل الإسلاميّ .. ولنأخذ على ذلك مثلاً (السمع والطاعة) فهذا الشرط الأساسي في العمل الجماعي ، قل وجود من يفقهه فقهاً شرعياً ، ويلتزم به ظاهراً وباطنا .. أما الكثرة الكاثرة فإنها تقرر المعاني الشرعية (للسمع والطاعة) .. ولكن الواقع الأليم يبين أن تقرير القواعد شيء ، والعمل بها شيء آخر .. وبالأخص إذا كان لها تعلق بأخلاق القلوب .

ولا ريب في أن الإسلام يرفض واقع الذين ألغَوا عقولهم ، وساروا خلف من يقودهم من غير علم بأبعاد ما هم مقدمون عليه . فتراهم يسمعون ويطيعون ، ويعجزون عن تمييز الصواب من الخطأ .. والاستقامة من الانحراف .. كما يرفض الإسلام سلوك الذين يفتقرون إلى (الميزان) الشرعي الذي يساعدهم على تحديد (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .. فتراهم يجزمون بفهمهم للأمور ظانين أنهم على شيء .. وهذا يدفعهم إلى نقض عهودهم ومواثيقهم ، بزعم أنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)!!

ومشكلة (السمع والطاعة) يؤثر في ظهورها عامل أو عدة عوامل . منها ما له علاقة بالقيادة .. والقسم الآخر يتعلق بالأفراد (القاعدة) ومن المفيد الإشارة إلى بعضها :

أولاً : من جانب القيادة :

–عدم وضوح خطة العمل بحيث تكون مهضومة لدى الأفراد .. ذلك أن الوضوح شرط أساسي للتفاعل الإيجابي مع العمل .

- الضعف في تربية الأفراد على معاني الجندية الإسلاميّة .

- اتجاه عامة المربين -عملياً- إلى إيجاد (الأتباع) وليس إلى بناء شخصية إسلامية متوازنة ، تستطيع بسلطان العلم والتقوى والإخلاص أن تقول : (نعم) أو (لا) في الوقت المناسب .

ثانياً : من جانب القاعدة :

- جهل الفرد بأبعاد العهود والمواثيق التي أعطاها وألزم نفسه بها طائعاً مختارا .

- بقاء رواسب مفاهيم البيئة المعاصرة عن العمل الجماعي في النفوس .. فمن الأفراد من يرى -عملياً- العمل الإسلاميّ الجماعي عبارة عن نشاط حزبي ، لا يختلف عن ممارسة بقية الأحزاب .. ومنهم من يتعامل مع العمل وكأنه نادٍ هواة ، يدخل فيه متى شاء وينـــزع يده منه متى شاء .. إلخ .

- غلبة قضية معينة في ظروف خاصة .. وإعطاؤها تفسيرات تجعل من لا يقبلها من القيادة ناكثاً في عهوده .. في نظر الفرد .. وهذا يؤدي إلى (العصيان) .. و(المشاكسة) .

في السطور السابقة أشرنا إلى بعض الأسباب المفضية إلى إصابة (السمع والطاعة) في مقتل .. مما يؤدي إلى ضعف القدرة على القيام بالأعمال الجليلة . ومعالجة هذا المرض الفتاك الذي يأخذ صوراً متعددة .. ممكنة بإذن الله تعالى . إذا التفت كل فرد -في القيادة والقاعدة- إلى واجبه .. وجاهد نفسه باستمرار على الارتفاع إلى مستوى الإسلام فهماً وعملاً في جميع ما يصدر عنه من أعمال قلبية وبدنية .

ولا يخفى على مسلم راشد أنه لا عذر للمرء يوم القيامة ، إذا قصر في تعلم ما يجب عليه العمل به .. وأن الفرد يسأل يوم العرض على الله تعالى عن عمله ، ولا يسأل عن تقصير غيره .. وإذا قصّر لا يُسأل غيره عنه .. والحق أن هذه المسألة حين تتجاوز عند كثير من المسلمين دائرة الاقتناع النظري ، وتصل إلى دائرة الاقتناع الوجداني (القلبي) ، فإنهم سيخرجون بقوة من محيط الكلام إلى دائرة العمل الجاد المثمر بإذن الله تعالى . وسيرفضون حينئذ تعليل تقصيرهم بتقصير الآخرين .. وتسويغ أخطائهم بأخطاء غيرهم .

هذا ، وقبل أن نختم الكلام عن خواطر تتعلق بالعمل الجماعي ، فإننا نجد من الضروري الإشارة إلى حالات يجب الالتفاف إليها :

▪ في العمل الإسلامي الجماعي أفراد ، حين يكونون في (القاعدة) يرفضون الانقياد لما يطلب إليهم .. ويتهربون من التكليفات والواجبات .. فإذا قُدّر وأُسند إلى هؤلاء الإشراف على عمل ما ، يكونون فيه مسؤولين عن آخرين .. فإنهم يطالبون من معهم بضرورة الالتزام الكامل بما يكلفون به .. ولا يقبلون لهم عذرا .. هذا الصنف إذا عاد إلى القاعدة رجع إلى سابق عهده من التعلل والتهرب ..

والإسلام يريد من المسلم أن يأتي ما يجب عليه من الأعمال ، وهو موقن أن عمله عبادة لله عزَّ وجلّ .. وأن الله سيجزل له الثواب إذا أخلص النية وأصلح العمل .. ومن كان هذا حاله حقيقة ، فإنه يرى نشيطاً سواء كان في القاعدة أم في القيادة .

▪ في العمل الجماعي أفراد يشكلون الجسر بين القيادة والقاعدة ، لكونهم أصحاب قدرة وطاقة .. فريق من هؤلاء يجعل من نفسه (مصفاة) .. فلا يسمح لأي رأي أو موقف بالعبور من القيادة إلى القاعدة أو العكس ، إلا إذا وافق رأيه .. وبعض هؤلاء ينقلون إلى من وراءهم فهمهم لما هو مطلوب .. ومع مرور الزمن يظهر التناقض في فهم الأحداث والقضايا الكبرى بين القيادة وبين أجزاء من العمل .. إذ يظن الذين تربوا على ما يُقَدَّم إليهم بطريقة خاصة أو ناقصة ، أن ما حصلوه إنما هو فكر العمل الجماعي ، وأن القيادة بدأت تنحرف عن الخط المتفق عليه .

▪ قد يلجأ العمل الجماعي إلى إنزال عقوبة ما بالمقصر في التزامه أو المتجاوز لحدوده .. ولكن بعض الأفراد يرون أنفسهم فوق المساءلة ، فضلاً عن إنزال العقوبة بهم !! فإذا أنزلت بهم عقوبة تنظيمية ، فإنهم يسارعون إلى إثارة المشكلات ، وإلى المشاكسة أو عدم الاستجابة لما يطلب منهم فعله .. وربما أعلنوا (عصيان الأوامر) إلى أن يُرد إليهم اعتبارهم .. وتتراجع القيادة عن عقوبتهم ، وبدلاً من الالتفات إلى معالجة أسباب العقوبة تظهر (التعليلات) وتثار الفتنة بصور وأساليب متنوعة .

وبعد :

فإن هذه الخواطر تشير إلى ضرورة توفير عوامل الانسجام في العمل الجماعي .. بين الذين يحملون مسؤولية القيادة وبين الذين تقع عليهم مسؤولية التنفيذ . ولا جدال في أن توفير

هذا الانسجام واجب الجميع . إلا أنه في حق القيادة أوجب .. ولا يفوتنا أن نؤكد على أن النتائج الطيبة للانسجام .. إنما هي حصيلة جهد كبير يبذل عبر عملية تربوية ، تهدف إلى بناء المعاني التي تحقق الانسجام والتفاهم والتعاون المثمر بين جميع أفراد عمل جماعي بشري .

درس في السياسة الشرعية

يرى قطاع كبير من قادة وشباب الحركة الإسلاميّة المعاصرة .. أن واقع أمتنا يفرض توجيه الاهتمام إلى التحديات السياسية الداخلية والخارجية .. باعتبارها تحديات مصيرية .. وبناء على هذا التوجه فإنه لا يصح –في نظرهم– أن تنشغل الحركة الإسلاميّة بقضايا ، تبدد الجهود وتصرف الأنظار عن الواجب الأوجب .

فهل هذا صحيح ؟

إنّ ظروف أمتنا وعالمنا تفرض أن تكون الحركة الإسلاميّة المعاصرة **حركة تغييرية شاملة** .. وهذا يفرض عليها أن تسعى سعياً حثيثاً مستمراً إلى تحقيق (فهم شمولي للإسلام وللواقع) .. ويطالبها بالعمل على توفير التوازن الميداني بين الواجبات المتعددة .. بناء على رؤية شرعية عالمة أصيلة .. وهذا يلزم الحركة الإسلاميّة بأمور .. نذكر هنا أجمعها :

أولاً : يجب أن يهتم كل مسلم بجميع القضايا والمسائل التي يسأل كل فرد عنها أمام الله عزَّ وجلّ .. ويأتي في مقدمة ذلك مسائل العقيدة والشعائر التعبدية .

وهذا الموضوع أساسي في تكوين المسلم الرباني .. الداعي إلى تجديد معاني الدين في المسلمين .. والساعي إلى تحصين الأمة من المؤثرات الضارة التي يبثها الضالون المعاصرون .

ثانياً : ينبغي أن يولي الدعاة إلى الله عزَّ وجلّ .. جميع المسائل التي هي محل تبليغ .. اهتماماً من الناحية العملية .. والتبليغ –كما لا يخفى– يقوم على أصلين :

١- التخلي عن كل ما حرمه الله تعالى أو كرهه .

٢- والتحلي بكل ما أمر به عزَّ وجلَّ أن ندب إليه .

ونضرب أمثلة توضح المقصود فنقول :

١- تقوم دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام على أصل جامع ﴿ ... **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ...﴾ [التوبة: ٢٥٦] فالدعوة إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ تشتمل على هدم وبناء .. **هدم للشرك** الذي تتعدد صوره ومصادره على امتداد الزمان واختلاف المكان ، لأن مصدره البشر .. **وبناء للتوحيد** الذي لا يتأثر بعامل الأزمنة والأمكنة .

وهذا الأصل يفرض على الدعاة أن يعملوا على إزهاق (الشرك) .. سواء كان شركاً قديماً أم حديثا .. وأن يعملوا على غرس التوحيد ورعايته .. على مستوى الفرد والمجتمع والدولة .

٢- من المقرر شرعاً أن الأصل في الشعائر التعبدية **الاتباع** للمعصوم ﷺ .. وأن من ابتدع -ابتداء أو تقليداً- فقد أخطأ أو أساء باستحسانه لما لم يأذن به الله تعالى في الوحيين : القرآن والسنة .

وهذا الأصل يلزم الدعاة بأن يعلِّموا الناس السنن ، وأن يحذروهم من البدع .. وخاصة بدع الاعتقاد ..

٣- من أصول الإسلام **الحكم بما أنزل الله عزَّ وجلَّ** أي : العمل بالإسلام من خلال المؤسسات المكونة للمجتمع (المؤسسة التشريعية ، والمؤسسة القضائية ، والمؤسسة السياسية ، والمؤسسة التعليمية ، والمؤسسة الاقتصادية ، والمؤسسة الإعلامية .. إلخ) .

وعلى الدعاة أن يهتموا بهذا الأصل .. الذي يسميه الناس (سياسة) .. لما له من انعكاسات عقدية ، وفكرية ، وتشريعية ، وأخلاقية .. إلخ على الإنسان فرداً ومجتمعا .

٤- أما الأخلاق .. فقد أولاها الإسلام عناية خاصة .. فإذا انهدمت القاعدة الخلقية فإنه لا يستقيم عمل ولا يثمر جهد ..

وهذا الأصل يفرض على الدعاة أن يعلموا الناس .. بالبيان والقدوة .. أخلاق المؤمنين الصادقين في تعاملهم مع أنفسهم ، ومع الناس ، ومع الدنيا ، باعتبار ذلك كله جزءاً من تعاملهم مع الله تعالى ، وأن يفقهوهم بآداب التعامل مع ربّ العالمين ﷻ .

يظهر جلياً من الأمثلة المضروبة آنفاً .. أن أبناء الحركة الإسلاميّة المعاصرة مطالبون بالدعوة إلى سبيل الهدى على كل مستوى .. وبتعليم الناس ما أنزل الله عزَّ وجلَّ في القرآن والسنة .. مع إدراك عميق لإشكالات المرحلة التاريخية الراهنة .. والتي اجتمعت فيها مؤثرات منكرة تحدرت إلينا من أجيال سابقة .. ومؤثرات مدمرة أفرزتها مدنية الغرب .. وهي تدق أبوابنا في كل حين ، وتتسلل إلى هوائنا ، وأذواقنا ، وتشريعاتنا .. إلخ ، في محاولة جادة لانتزاع الإسلام من قلوب المسلمين ومن حياتهم .

هذا ، ولا بد من التأكيد على أن الاهتمام بكل أمر جاء به الشرع .. ينبغي أن يقوم على أساسين :

الأول : تحديد الحكم العلمي–العقدي من كل قضية .

الثاني : إعطاء كل قضية حجمها من الاهتمام الزماني والمكاني .

ونضرب مثالين يقربان المقصود :

الأول : الفكر الصوفي : لقد انصرمت قرون على تغلغل هذا الفكر في أمتنا .. فما الموقف منه ؟

أ- **الموقف العقيدي** : مرفوض لقيامه على (الابتداع) .

ب- **السياسة الشرعية في التعامل معه** : لا يصح أن يستهلك جلّ اهتمام الحركة الإسلاميّة المعاصرة .. التي تواجه تحديات كبرى مصيرية .

وهذا الموقف يعتمد على حقائق .. منها :

١- انحسار تأثير هذا الفكر .. وانحصاره في زوايا ليس لها تأثيرات أساسية في الأمة .

٢- انتشار العلم الشرعي . واتساع دائرة المؤمنين بوجوب العودة إلى القرآن والسنة .. واجتناب الابتداع في الدين .

٣- بروز دعوات علمانية وقومية جاهلية .. سيطرت على مراكز التأثير والقرار في الأمة .. وتبث فكراً يوهن صلة المسلمين بإسلامهم ، وتستخدم ضروباً من (القوة) لصرفهم عن العودة إلى الله عزَّ وجلّ .

الثاني : الفكر الشيعي : الموجود في أمتنا منذ ١٤٠٠ سنة !! . هذا الفكر تحرك في السنوات الأخيرة ، وخاصة بعد الإطاحة بشاه إيران ، فما الموقف منه ؟

أ- الموقف العقدي : نرفضه لمخالفته القرآن والسنة .

ب- السياسة الشرعية في التعامل معه : نرفض خوض معركة مذهبية (طائفية) ، والرد عليه ينبغي أن يكون بقدر الضرورة .

وهذا الرأي في السياسة الشرعية يعتمد على أمور .. منها :

١- وجود مناعة مقبولة لدى المسلمين تجاه الفكر الشيعي-العقدي .

٢- الابتعاد -في ظروف أمتنا وعصرنا- عن الحرب الطائفية .. التي تتسم عادة بالحدة ، وتصرف عن الهموم الأكبر .. وتجعل أطراف النـــزاع في موقف الضعف .. وتوفر جواً ملائماً لتدخلات أجنبية مهلكة .

٣- سيطرة دعوات هدامة ، وهيمنة أنظمة حكم فرعونية النـــزعة في حياة المسلمين .. وهي أشد فتكاً بالعقيدة والفكر والأخلاق والتشريع من (التشيع) .. لأن أمتنا لا تملك مناعة كافية لمواجهة جراثيم (التغريب) .

٤- تربص أعداء خارجيين .. يتمنون تحطيم قوى أهل السنة والشيعة على حد سواء .

الخلاصة :

إنّ ظروف الزمان .. وشروط الأمة .. تدعو إلى تبني سياسة شرعية تقوم على :

١- التأكيد على الموقف العقدي من كل قضية .

٢- البعد عن الصراعات الجانبية في ظروف المرحلة .

٣- وجوب الرد المكاني على الفكر المنحرف أو الضال ، وإن كان ثانوي التأثير ، وبقدر الضرورة .

٤- التركيز على مواجهة التحديات المصيرية التي تهدد حاضر الأمة ومستقبلها .

إنّنا نريد من الحركة الإسلاميّة أن تعمل على توفير الشروط التي تجعل أبناءها قادرين على تبني سياسة شرعية بصيرة بالواجبات .. وقادرة على تصنيف الاهتمامات .

كُنْ منهجياً تحقق هدفك

يرى فريق من قادة العمل الإسلاميّ أن هناك ضرورة إلى الاتفاق على منهج يمثل رؤيتهم للواقع بأبعاده المختلفة ، ويحدد طريقة تعاملهم مع مكوناته ، وتكون ضوابطه ومراحله ملزمة .

وإلى جانب هؤلاء يوجد فريق آخر يرى –عملياً– أن تسطير منهج قد يؤدي إلى نوع من التحجر ، الذي يمنع أو يقلل فاعلية التعامل مع المتغيرات ، وقد يشكل لدى كثير من العاملين مقياساً للاستقامة أو الانحراف .

ويرد الفريق الأول : إنّ المنهج المستمد من الرؤية الإسلاميّة . لن يكون بحال من الأحوال قيداً يمنع من الاجتهاد في النوازل ، ولكنه يضبط حدود هذا الاجتهاد ، وهذا يجنب الجماعات ويلات الانفعالات الفردية ، ويلزم بالتحرك وفق ضوابط ، وبذلك يسير العمل إلى غايته ويحقق أهدافه .

وهذا الاختلاف في النظر إلى (المنهج) نراه ونلمسه في تجربة العمل الإسلاميّ على امتداد الأرض ، فإذا نظرنا –على سبيل المثال– إلى العمل الإسلاميّ الحركي ، الذي يتبنى (التغيير الشمولي) لرأينا تعدد الرؤى في فهم الواقع المحلي والدولي ، وفي طريقة التعامل مع هذا الواقع . وإذا أردنا أن نحصر نظرنا في حدود تسمح بضرب مثل مجرد يقرب المقصود فإننا نقول :

إذا نظرنا إلى التيار الإسلاميّ التغييري .. لرأينا ببساطة أنه موزع على ثلاثة محاور :

١- محور يرى العمل السياسي أسلوباً مقبولاً ، ووسيلة ناجعة ، في تغيير الواقع السيء وصولاً إلى تحقيق الإسلام في حياة المسلمين . وبناء على ذلك يركز أصحاب هذا الرأي على المطالبة بإطلاق الحريات ، وبالتعددية الحزبية ، ويقبلون بأن يكونوا حزباً إلى جانب أحزاب أخرى . ويرضون بنتائج صناديق الاقتراع ..

وهذا الرأي له لوازم ، منها :

- الاعتراف بدستور لا يقر بمبدأ (إن الحكم إلا لله) أي : علماني .
- تبني فكرة (التداول على السلطة) .

- الاعتراف للأحزاب العلمانية ، بكافة صورها وأشكالها ، بالوجود وحرية العمل .. حتى وإن فاز التيار الإسلاميّ في الانتخابات فوزاً كبيرا .
- تخطئة من يتبنى أسلوباً آخر في العمل .

٢- ويتبنى المحور الثاني أسلوب العمل المسلح وسيلة أنجع في التغيير ، وبناء على هذه النظرة يضع مقدمات ، يراها مستمدة من النصوص الشرعية ، ويربطها بما يراه من الواقع .. ومن لوازم هذا الرأي :

- رفض الاعتراف بدستور علماني .
- إقصاء فكرة التداول على السلطة والتعددية الحزبية .
- اتهام من لا يرى رأيهم في الفهم أو في النيات .

٣- ويدعو المحور الثالث إلى التغيير من القاعدة وصولاً إلى السلطة .. واعتماداً على هذه النظرة فإن أصحاب هذا الرأي ينادون بإطلاق الحريات .. رغبة في توفير جو طبيعي للتربية والتكوين النفسي والفكري والسلوكي لأجيال تحمل مسؤولية التغيير الشامل .. ومن لوازم هذا الرأي :

- رفض العمل السياسي والعمل المسلح باعتبارهما أسلوبين متعجلين .
- لا يرى نفسه –في الشروط القائمة– ملزماً بتقديم تصور للحياة السياسية إلا حين يحصل التغيير .. لأن الشروط ستكون مغايرة .
- متابعة جهود الدعوة والتربية رغم القهر والإرهاب .

وهذا التمايز في الرؤى نراه ونلمسه في الأوضاع السياسية القهرية القمعية .. التي أصبحت عادية في العالم الإسلاميّ وا أسفاه .. ولكن حين يقع اضطراب في هذه الأجواء المكفهرة .. بصرف النظر عمن أثاره وحركه .. وترتفع وتيرة القمع والقهر السياسي .. فإن هذه النظرات المتباينة تعاني من هزات عنيفة .. وإذا بقواعد الجماعات السياسية والدعوية التربوية تضطرب نظرتها .. وتميل عن منهجها –هذا إن كان لها منهج !– وتتفاعل عاطفياً مع جو الأزمة .. وإذا بها تسير في طريق كانت تراه بالأمس .. خطأ وجهلا .. أو اندفاعاً وتهورا !! . وكثيراً ما يقع هذا الاضطراب والتفاعل العاطفي في محيط القيادات أيضاً !! .

وإذا أنكر منكر على هؤلاء المضطربين ، وذكّرهم بما كانوا عليه من رأي ، وأن حقائق الواقع لم تتغير .. فإنهم يرددون : نحن في حالة اضطرار ، وشرع الله صريح في أن (الضرورات تبيح المحظورات) . وتكون النتيجة العملية لهذه التبدلات في الرؤى والمواقف والعمل :

- التخلي عن (المنهج) بأسلوبه ووسائله .. والعمل برأي آخر ليس عندهم اقتناع وجداني به.
- تبني تفسيرات يلوح لهم أنها (شرعية وعقلية وسياسية .. إلخ) تسوغ لهم ما صاروا إليه .

أمام هذه الظاهرة التي تكررت في أكثر من مكان .. وفي أجواء تصعيد حملة المحاصرة والتضييق على التيار الإسلاميّ محلياً وعالميا .. فإننا نرى وجوب الكلام والتأكيد على ضرورة وجود منهج للعمل الإسلاميّ ، يقوم على فهم للنصوص أصيل ، وعلى إدراك عميق لواقع العالم وظروف العصر : بلاداً وعباداً .. لأن منهجية العمل هي التي تسير بنا .. بخطى ثابتة واعدة .. إلى أهدافنا الكريمة النبيلة .. على الرغم من المنغصات والمغريات والمرهبات .. مصداقاً لوعد ربنا الكريم :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨-٩] .

لذلك فإننا نقول لكافة العاملين في الحقل الإسلاميّ :

١- ينبغي أن يقوم العمل الإسلاميّ التغييري على (منهج) يلتزم به الجميع -قيادات وأعضاء- سواء في أيام الشدة المعتادة .. أو في الشدة الاستثنائية مهما طال ليلها .

٢- لا يصح التخلي عن المنهج بتأثير الظروف الاستثنائية ، لأن التخلي لا يوصل إلى الأهداف المرجوة .

٣- ويجب أن يميز أصحاب المناهج .. المؤمنون بصلاحها .. بين (التخلي عن المنهج) وبين (تغيير خطة العمل مؤقتاً) بفعل الظروف الاستثنائية .

لماذا ندعو إلى المنهجية ؟

إضافة لما سبق ذكره في تضاعيف الكلام من أسباب تؤكد على وجوب المنهجية نقول :

▪ لأن العمل الناجح هو ذاك الذي يحدد أهدافه .. ويسعى بوسائل مناسبة إلى تحقيقها .. وفق منهج يقوم على دراسات وليس على انطباعات .

▪ ولأن العمل الإسلاميّ الواعي هو ذاك الذي يعمل على استلام أمانة الأمة .. إذا توفرت شروط تحقيق الأهداف بصورة عملية واقعية .. ويرفض كل الرفض أن يصل إلى (صورة تحقيق الأهداف) فقط .

▪ ولأن المتغيرات إذا أتاحت فرصاً .. لا يستطيع العاملون بعد أن ينهضوا بأعبائها .. فإنه لا يصح أن يتقدموا إلى حمل الأمانة بحجة (اغتنام الفرصة السانحة) فالله تعالى يعلمنا : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ... ﴾ [التغابن: ١٦] .

▪ ولأنه إحساس غير سليم ذاك الذي يدفع إلى القيام بأعمال لم يحن وقت وجوبها –إذا فكر العاملون بشكل منهجي– ولم تتوفر شروط فرضيتها ، فليس المهم أن تتغير صورة الواقع .. حتى نسمي هذا تغييراً يحتاج إلى نسف المنهج المعتمد .. والسير في طريق آخر عن غير اقتناع قلبي عقلي .

ما شروط الوصول إلى الأهداف ؟

إنّ الوصول الحقيقي .. وليس الصوري .. إلى تحقيق الأهداف التغييرية رهن بتعانق ثلاثة أسس في العمل الجماعي :

الأول : منهج محدد القسمات ، ذو مراحل واضحة المعالم .

الثاني : قيادة واعية مؤمنة بالمنهج وملتزمة به وبمراحله ، وقادرة على الاجتهاد في النوازل .

الثالث : قاعدة مؤمنة بالمنهج ومدركة لمقتضياته في الواقع .. تتصرف في كل مرحلة بما يناسبها .. وفي كل حالة –عادية كانت أم استثنائية– بما يلائمها .. فلا هي تضغط

بعاطفة مندفعة على القيادة مطالبة بتجاوز المنهج في الأزمات .. ولا هي نائمة عن واجب حث القيادة لكي تخطو خطوات حان وقتها .

وبعد : فإنّ (المنهج) مصطلح نعني به (العمل الصواب) ومعلوم أن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان صواباً خالصاً لوجهه الكريم .. فنحن حين ندعو إلى (المنهجية) فإننا لا نأتي بجديد ، وإنما نذكِّر بأمر حيوي كثيراً ما ينسى في غمرة الأزمات .. وإننا لنتطلع بقلوب ملؤها الأمل إلى الغد المشرق بإذن الله .. فنرى النصر ملء السهل والجبل .. على الرغم من نواقص اليوم .. فإلى العمل الصواب ندعو أنفسنا والمسلمين .. ويا فوز من استجاب .

هل أنت " استراتيجي " أم " تكتيكي " ؟

يستخدم أهل الغرب مصطلحين لهما دلالات في الفكر وفي واقع الناس ؛ **الأول** : مصطلح « **الاستراتيجية** » **والثاني** : مصطلح « **التكتيك** » ، ويعنون بالأول « **الاستراتيجية** » : **السير في العمل الفردي والجماعي وفق خطة مترابطة ومنسجمة مع الأهداف الآنية والمستقبلية** ، فيقولون مثلا : « فلان صاحب رؤية استراتيجية » و « هذه مرحلة في الاستراتيجية المعتمدة » و « استراتيجيتنا تنص على كذا وكذا » .. وهكذا .

ونظراً إلى الحاجة الماسّة إلى « الفكر الاستراتيجي » و « العمل الاستراتيجي » فقد كثرت وتنوعت مراكز الدراسات الاستراتيجية ، التي تقدم خدماتها للحكومات ، والأحزاب ، والمؤسسات ، والأفراد ، وأضحى هذا المصطلح يحمل معاني إيجابية عند الإثبات ، كما ذكرنا في الأمثلة السابقة ، ويحمل أيضاً قيمة سلبية عند النفي ، فيقال مثلاً : « فلان يفتقر إلى الاستراتيجية » أو « إنّ عقله غير استراتيجي » ويقصدون بذلك أنه فعّال منتج ، ولكنه لا يلتزم في عمله بخطة ، ويفتقر إلى النظرة المستقبلية ؛ فهو لا ينظر إلى ما يقوم به اليوم في ضوء مآلات الأمور في الغد .

أما المصطلح الثاني « **التكتيك** » فيعنون به : **التفاعل مع الواقع ومتغيراته على أساس التصرف الآني ، بحيث يدفع ما يُرى أنه مفسدة ، أو يجلب ما فيه مصلحة ، وهذا التصرف ربما أفاد في الحال ، وكان مدمراً في قابل الأيام** . فالإنسان « التكتيكي » يفتقر إلى التمرس بـ « فقه الأولويات » و « فقه الموازنات » و « فقه المآلات » أو « استشراف المستقبل » . فإذا أسفرت اختياراته عن إخفاق أو دمار ، فإنه يسارع إلى تجريم الآخرين أو يتهم الظروف ، ويسوِّغ ضعف مواقفه وسوء قراءته للواقع وللمستقبل بأن اختياراته كانت مناسبة في ظروف اتخاذه القرار !! .

في ضوء كلامنا السابق يرد السؤال الآتي :

هل قيادات التيار الإسلاميّ « استراتيجيون .. أم « تكتيكيون » ؟

والذي يلوح لي في الجواب أن معظم القيادات ؛ الدعوية ، والتربوية ، والحركية ، والسياسية ، مصابون بـ « جزئية الرؤية » و « الافتقار إلى برنامج عمل ذي مراحل » و « ضعف القدرة على الاجتهاد » . وتستفزهم « الانتصارات أو الإنجازات الصغيرة » فيظنون في أنفسهم القدرة على اتخاذ القرارات المصيرية ، وقد تكون « طُعماً » وضعه خصومهم في فخٍّ ليصطادوهم!! .

وحين تنكشف القرارات عن طامات مهلكات فإن « التبرير » حاضر ..

لا تلمْ كفي إذا السيف نبا صحَّ مني العزمُ والدهرُ أبى
رُبَّ ساعٍ مبصرٍ في سعيهِ أخطأ التوفيق فيما طلبا

ويغيب عن كثير من هؤلاء الفضلاء أن العلة في التكوين العاطفي الذي يطبع جمهرة القياديين المؤثرين .. ورحم الله أحمد شوقي حيث قال في مثل هؤلاء :

إنّ الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدت شجعان العقول قليلا

ولعل الإشارة إلى عدد من الصور المؤسفة التي تتكرر في الواقع تغني عن العبارة ..

١- قبل سنوات التقيت بإخوة قادمين إلى أوروبا من قطر عربي ، وتحدثنا عن قضايا تنال من قدرة التيارات الإسلاميّة على العطاء الأمثل ، وتمنع فصائل واعية من العمل المنهجي المدروس.. وذكرت لهم : إنّ أهم سبب يعطل الطاقات إنما يرجع إلى نوعية القيادات ، فالقيادة في معظم فصائل الحركة الإسلاميّة « **فردية ومزاجية** » حتى وإن كونت بعض الجماعات مجالس قيادية وشورية ، فما يزال « القائد الفرد » هو الذي يجتمع عليه أعضاء الجماعة ، وجميع الذين يحيطون به لا يحظون بالمكانة القيادية مهما كانت كفاءتهم . وقلت أيضاً : إنّ ظاهرة « الشيخ والمريد » تحكم الشيخ وتتحكم بالمريدين . قال أحد الحاضرين : إنّ هذه الظاهرة مزعجة لنا في البلاد العربية ، فهل استطعتم – وقد أقمتم في أوروبا سنوات طويلة – أن تتجاوزوا هذه المشكلة التربوية الثقافية ؟ . فأجبته : لقد سطرنا على الورق ما يفيد أننا تجاوزنا هذه الإشكالية ، و لم نُمتحن بعدُ بما يكشف : هل الطبعُ يغلب أم التطبّع ؟ ، إذ لا يخفى عليكم أن بعض طباع المرء تُكتسب ، ولا أكتمكم أن هناك إشارات مزعجة ومقلقة في الممارسة !! .

٢- العمل الجماعي ثمرة الاقتناع القلبي العميق بواجب التعاون على البرّ والتقوى ، وهو سنة ماضية في المجتمعات الحيّة المعطاءة ..

والعمل الجماعي الناجح هو الذي يستجيب للواجبات ، ويختار من صور الترابط والتنظيم ما يجعله فعالاً في ظروف الزمان والمكان والإنسان ..

والعمل الجماعي هو الذي يجمع الطاقات والإمكانات لتحقيق الأهداف الجليلة للأمم ، وبدونه لا تنهض المؤسسات في المجتمع .. ولذلك يتصدّى الحكام المستبدون وأعوانهم لكل عمل جماعي محاولين ؛ احتواءه ، أو تشويهه ، أو ضربه وتفريقه ..

وقد تمكن الطغاة المحليون والدوليون – في السنوات الأخيرة – من توصيل رسائل إلى الفئة الحيّة من المسلمين ، وذلك عبر الإغراءات والمخاوف والإعلام ، ومفادها : إذا أردتم النجاة من المساءلة ، والإهانة ، والقلق ، والعقاب ، والتصفية .. فابتعدوا عن العمل الجماعي ، وتخلوا عن « فكرة التنظيم » ، لأن العمل الإسلاميّ المنظم تسييس للدين ، ثم إنّ هذه الصور من العمل الجماعي الموجودة في العالم الإسلاميّ ، إنما كانت ردّ فعل على إلغاء الخلافة العثمانية وعلى علمنة الدولة الحديثة التي أوجدها الاستعمار الأوروبي في بلاد المسلمين بعد تمزيقها ..

اقتنع بتلك المقولات وأمثالها عاملون في مجال الدعوة والتربية ، ودعاة بذلوا عقوداً من الاهتمام والجهود رافعين شعار « **نعم للتغيير ولا للإصلاح الجزئي** » . وإذا بناس من هنا وهناك يتبنون التخلي عن التنظيم والعمل الجماعي ، ويسوغون ما ذهبوا إليه بالحكمة ، ونقد الذات ، والمعاصرة ، وبأن تكاليف العمل المنظم باهظة جداً إذا قارناها بإنجازاته المتواضعة .. إلخ .

في هذه الأجواء من الفتن الحبلى بالشبهات يصاب ركن من أركان العمل الاستراتيجي « العمل الجماعي » في مقتل ، وتتحول الطاقات إلى ألوان من « التكتيك » لكي تحافظ على نوع من الاستمرار في الوجود الباهت ، لأن العمل الاستراتيجي يرفض منطق الفردية في التفكير والتنفيذ ، والعفوية في التعاون ، وافتقاد « البوصلة » التي توجه المسير ..

٣- إنّ الأهداف المحددة والواضحة شرط أساسي للنجاح ، وكلما كانت الأهداف واقعية فإنها تساعد الناس على فهمها والالتفاف حول الداعين إلى تحقيقها ، والأهداف الواضحة تغذي « الفكر الاستراتيجي » الذي يرمي إلى « **تجديد الإسلام وبعث المسلمين** » و « **إحياء العمل بأحكام الشريعة في حياتهم الفردية والجماعية** » ، وهذا يقتضي : ترشيد الأمة والنهوض بأبنائها ليقوموا بواجب الشهادة على الناس قولاً وفعلاً ، وهدايتهم إلى صراط العزيز الحميد ..

إنّ فصائل الحركة الإسلاميّة مجمعة على ضرورة « **التجديد** » و « **الإحياء** » و « **الترشيد** » و « **النهوض** » و « **التغيير** » و « **الشهادة على الخلق** » ، وكان الذي يميز فصيلاً عن آخر الواجبات التي يركز عليها في الواقع كل فصيل ، وما يتصدى له من التحديات ، وهذه المعاني الجليلة كانت وراء تحريك القلوب والجهود لتلتقي في ساحة العمل الجماعي الضروري لتحقيق التغيير المنشود .

فلما أضحت هذه المعاني باهتة في عقولٍ وقلوبٍ ، بفعل « الاخفاقات التي سببتها الاجتهادات العاجزة » و « الانفعالات المتعجلة » و « التخلف في إدارة العقول والجهود » و « المخاوف الهاجمة والشهوات الهائمة » .. إذا بناس مخلصين يتمسكون بالألفاظ ، ولكنهم يهربون من العمل الجماعي الذي يطرح صوراً لواجبات تسهم في حمل راية الإسلام ، وتبليغ رسالته ، وأداء الأمانة ، وهذا الهروبُ جذب دعاة مخلصين من ساحة العمل الاستراتيجي وقذف بهم في مجال « التكتيك » ظانين أنهم محسنون .

وبعـــد

فإن الساحة الإسلاميّة بأمسِّ الحاجة إلى مراجعة نقدية عميقة للعمل الجماعي ، بحيث تستوعب هذه المراجعة « **الأهداف** » و « **الواجبات** » و « **الوسائل** » ، وأن تختار من أشكال التنظيم ما يرسخ جماعية التفكير والتنفيذ .

ويجب أن يضع العاملون في مجال الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ أيديهم على الأسباب الحقيقية للإخفاق ، فقد آن الأوان لأن يدركوا أن عدم التزامهم بـ « **السننية في العمل** » هو المسؤول عن الاضطراب والعثرات والعفوية التي تفتك بالجهود وتشوه الرؤية وتقزِّم الأهداف ، وهذه تفضي إلى البعد عن « العمل الاستراتيجي » وتقنع كثيرين بـ « التكتيك » .

عليكم بفقه التثبيت وفقه الدعوة

لم يعد خافياً حتى على الرجل العادي من المسلمين .. ما توليه جهات متعددة من اهتمام بظاهرة (الصحوة الإسلاميّة) .. وما تسخره تلك القوى من إمكانات هائلة جبارة : رصداً لتيار التجديد الإسلاميّ ، وتحليلاً لاتجاهاته ورؤاه ، وتخطيطـــاً لتذويبـــه واحتوائـــه ، أو محاصـــرته ليستسلم أو لشلّ حركته ، أو ضربه لتفريقه أو تدميره .

وأصبح واضحاً للجميع أن أمريكا وروسيا ودول أوروبا الغربية ، و(إســـرائيل) ، وعامـــة أنظمة الحكم في العالم الإسلاميّ .. تأتي في مقدمة الجهات الرافضة والراصدة والحريـــصة علـــى التذويب والضرب .. بل لم يعد سراً أن (إسرائيل) تتولى كِبَرَ هذه الحملـــة .. وفي كـــثير مـــن المناسبات تتطابق تصريحات السياسيين اليهود والعرب والغربيين بخصوص (الصحوة الإسلاميّة) إذ يؤكدون أن (الأصولية الإسلاميّة) تمثل الخطر الأكبر على الدولة الحديثـــة !! ، وعلـــى الـــسلام الإقليمي في (الشرق الأوسط) !! ، وعلى السلام العالمي !! ، حتى لكأنهم تخرجوا مـــن جامعـــة واحدة !! .

ويتساءل كثيرون عن أسباب هذا العداء المرير .. الذي جمع متناقضين ومتفاهمين في خندق مواجهة الصحوة الإسلاميّة ؟!

والجواب بسيط جداً : فالأنظمة التي قادت معظم أقطار العالم الإسلاميّ إلى الفقر والتخلف والتبعية .. تشعر أن التيار الإسلاميّ يشكل (بديلاً) يخرج من ثقافة الأمة المسلمة وهويتها الحضارية .. في مواجهة ثقافة وافدة تفرضها على الأمة أنظمةٌ استبدادية قمعية .. ملكية وجمهورية .. في محاولة منها لتهديم مقومات الفكر الأصيل (الإسلام) .

إنّ الأنظمة الاستبدادية تعلم أنها أخفقت -بما تبنته من فكر وما انتهجته من سياسة- في النهوض بالعباد والبلاد .. وتعلم أيضاً أنها قد سقطت في ضمائر جماهير الأمة .. ولولا الحديد والنار لكانت تلك الأنظمة في ذمة التاريخ !! .

و(إسرائيل) تدرك تماماً أن عملية تفريغ المسلمين من مضامين الإسلام .. هي التي سمحت لها بالدخول إلى حياة الأمة -سواء كان التفريغ بفعل الجهل والتخلف الذاتي أم بفعل خارجي- ولولا ذلك لما استطاعت حراب الغرب من بناء دولة يهودية في قلب بلاد المسلمين . وتعلم (إسرائيل) علم اليقين أن الفكر الإسلاميّ (فكر محرِّر) .. وأنه إذا تجدد في المسلمين .. باعتبارهم أمة .. فلن يتم لساسة يهود ما يريدون فعله في أرض الإسلام .

و(إسرائيل) على يقين من أن المعاهدات والمواثيق التي أرغمت على التوقيع عليها حكاماً وساسة عربا .. لا تعني (استسلام الأمة) .. فالهيمنة العسكرية والسياسية لا تعني (انهزام الثقافة) التي تحافظ عليها الشعوب .. ولذلك تصر (إسرائيل) على توفير شروط تحوير ثقافة المسلمين باسم (التطبيع) .

وساسة الغرب يدركون أن غياب الإسلام عن وعي المسلمين .. هو الذي مكنهم من قهر المسلمين ووضع أيديهم على ثرواتهم وحاضرهم .. وأن استمرار (تغييب الإسلام) يضمن لهم استمرار وانتشار عوامل الخنوع والتبعية .. وبقاء بلاد مسلمة وشعوب مسلمة تحت السيطرة المباشرة أو غير المباشرة في قابل الأيام .

ولا يُفهم من كلامنا السابق أننا نتبنى فكرة (المؤامرة العالمية على الإسلام) .. صحيح أن (إسرائيل) تدعو جهاراً نهاراً دولاً عربية وأوروبية إلى دراسة ما يسمونه (الأصولية الإسلاميّة)

والاتفاق على موقف تجاهها .. باعتبارها خطراً على الجميع .. وصحيح أنه تمّ عقد مؤتمرات عربية ، وعربية أوروبية .. لتبادل المعلومات والتنسيق في مجال مقاومة (الأصولية) .. ولكن هذه المحاولات لا ترقى إلى مستوى (الاتفاق) على خطة عمل مشتركة بعد .

إنّ جميع الأطراف التي أشرت إليها ، وغيرها مما لم أذكره ، ترتاب من النهوض الإسلاميّ .. وتعمل على وأد كل محاولة تهدف إلى (تجديد الثقة بالإسلام على أنه منهج حياة شامل وكامل) . ولتحقيق هذا الهدف استخدموا (أسلحة فتاكة) يأتي في مقدمتها (الإشاعة) و(الاضطهاد) و(الترهيب) و(الترغيب) ..

وقاموا باستدعاء (مصطلحات محاصِرة) مثل : الأصولية ، والتطرف ، والإرهاب ، والتشدد .. إلخ . لكي تحقق لهم ثلاثة أهداف رئيسية :

١- عزل الدعاة والتيار الإسلاميّ عن جماهير الأمة تمهيداً للتصفية .

٢- فرض الاستسلام على المجموعات الهشة داخل وخارج التيار الإسلاميّ .

٣- توفير جوّ الفتنة المناسب لبروز (فكر تفاهمي) أو (فكر تصادمي) مع الواقع الضاغط محلياً ودوليا .. يوفر شروط التمييع أو الضرب .

ونزلت إلى ميدان المعركة جميع وسائل وأدوات التحوير والتزوير والتشهير ، والقمع والسجن والقتل ، والترهيب والترغيب ، و .. و .. إلخ . وذلك داخل بلاد المسلمين وخارجها .

أمام هذه الهجمات الشرسة .. التي لا ترعى حرمة ولا عهدا .. وتستبيح كل محرم .. يجب أن ينهض من العاملين من يرد على هذه الهجمات بعلم وأصالة ، وصبر واستقامة ..

وفي هذه الأجواء المكفهرة ينبغي أن ينهض (فقه التثبيت) بدوره في تحصين العاملين من المخاوف والمغريات والمرهبات ، وأن ينهض (فقه الدعوة) بتوفير الرجال الربانيين الذين يرفضون الظلم ويحبون الهداية للظالمين ، ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان ويتمنون الإيمان والهداية والطهارة للكافرين والفاسقين والعصاة ، يدركون سنة الصراع بين الحق والباطل ، ويتسلحون بمقتضيات مواجهة أذى الآخرين تصديقاً لقول الله عزَّ وجلّ :﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦] .

وهذا الذي نرجوه يرشد إليه قول ربنا الكريم :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥] .

حول الحوار الإسلاميّ- القومي

كثر الحديث .. في جو تداعيات السقوط العربي الحكومي .. عن ضرورة تلاقي القوى الرافضة لعوامل الهزيمة .. والمناوئة لمخططات الاستسلام والخضوع للقوى الخارجية .. بصرف النظر عن اختلاف العقائد أو الأفكار وتناقضها .

وبدافع من الإحساس بالمخاطر التي تجتاح الأمة .. تنادى أفراد من التيار القومي (الشعبي) وآخرون من التيار الإسلاميّ إلى عقد لقاءات تحت شعار :

- **فهم الآخرين والقبول بوجودهم .**
- **البحث عن قواسم مشتركة تكون مجالاً لتعاون جاد :**
  - **يضخ المناعة في جسم الأمة .**
  - **ويسهم في وقف الانهيار والهزيمة .**
  - **ويساعد على النهوض من جديد .**

وبرز مصطلح (الحوار الإسلاميّ-القومي) إلى الوجود .. وانبرى الدعاة إلى تأصيله من الناحية الشرعية .. ولم يسلم الذاهبون هذا المذهب من معارضين رافضين أو مشككين .. وكل صاحب رأي يذكر من النصوص الشرعية أو القواعد الفقهية ما يتراءى له أنه دليل يصح الاستناد إليه والتعويل عليه . أو يذكر من واقع الممارسة ، وشواهد المتغيرات ، ما يدعوه إلى قبول فكرة الحوار أو رفضها .

وبما أن كل ممارسة يدخل إسلاميون طرفاً فيها .. تفرض تحديد موقف منها .. فإنني أطرح وجهة نظري في هذا الموضوع على النحو الآتي :

أ- نظرة التيار الإسلاميّ إلى الفكر القومي :

▪ لم ينكر الفكر الإسلاميّ المعاصر حب الإنسان لقومه وسعيه في مصالحهم ، وإنما أنكر المضامين العصبية المفرقة للمسلمين والمرسخة لقيم التجزئة . وأنكر أيضاً المضامين الفكرية و(العقائدية) التي تبناها دعاة القومية ، والمعبر عنها بـ (العلمانية) بمدارسها وتطبيقاتها المختلفة .

▪ **تزامن ظهور الفكرة القومية مع ضعف وانهيار دولة الخلافة العثمانية ، وأيضاً مع الهجمة الاستعمارية الغربية على بلاد المسلمين .. فأثر ذلك كله على الموقف من أصل الفكرة.. إذا اعتُبرت الدعوة القومية معول هدم .**

▪ وحين قامت أوضاع سياسية سيطر فيها القوميون على القرارات .. عملوا على إبعاد الإسلام من الحياة .. وكان موقفهم من حركة تجديد الإسلام عنيفا .

نستنتج مما سبق أن الفكر الإسلاميّ المعاصر اعتبر (الفكرة القومية) ردة سياسية أو (عقائدية) تجب منازلتها في كل مكان .

ب- نظرة الفكر القومي إلى الإسلام ودعاته :

▪ التزم الفكر القومي بالمضامين التي أفرزها الفكر القومي الغربي .. وأبرزها :

- إنكار الرابطة الدينية السياسية .
- إقصاء الدين عن مراكز توجيه الأمة .

▪ **تبنى الفكر القومي .. لكي يملأ عنوانه بمضمون محدد .. مذاهب شتى كالليبرالية والاشتراكية ، وعمل على تزيينها وفرضها بالقوة في الحياة اليومية .**

▪ استخدم القوميون (العنف) في مواجهة كل فكرة تناهض الفكرة القومية .. ورأوا في الحركة الإسلاميّة المعاصرة عدواً لدوداً يجب القضاء عليه بكل وسيلة .

نستنتج مما ذكرنا أن الفكر القومي نظر إلى الإسلام كما نظر الغربيون إلى دينهم .. وأنكر أن يكون الإسلام منهج حياة ورابطة أمة .. واعتبر الفكر القومي دعاة الجامعة الإسلاميّة خطراً يجب أن يقاوموا بشدة حتى يتم القضاء عليهم .

ت- تيار بَيْنَ بَيْن :

- في العالم العربي تيار يجمع تحت مظلته فريقين :

الفريق الأول : ينطلق من أرض الإسلام .. إلا أنه -بتأثير ظروف النشأة والواقع- مقتنع أن (القومية العربية) وعاء مضمونه الإسلام ، وأنها تناسب منطق العصر . وبعض هؤلاء يعتبرون الوحدة العربية مقدمة طبيعية للوحدة الإسلاميّة ، ولذلك يتعاطفون مع (الفكرة القومية) .

الفريق الثاني : يقف على أرض الفكر القومي العلماني ، ولكنه -بتأثير النشأة وملابسات أزمات الأمة- يرى أن الدين عامل مهم في تكوين الشخصية القومية .. باعتباره قيمة روحية .. ولا يصح أن يكون نظام حياة جماعي . من هنا يتعاطف هؤلاء مع (الفكر الديني) الذي يشكل تراثاً ما يزال يفرض وجوده في الأمة .

هذان الفريقان يشكلان في هذه المرحلة نواة (الحوار الإسلاميّ-القومي) ويحاول كل فريق التأثير على التيار الأصلي الذي يشعر بالانتماء إليه .

ث- التيار القومي الحكومي :

- في العالم العربي أنظمة حكم ترفع شعار القومية العربية ، ولكنها في الممارسة غارقة في تثبيت (الدولة القطرية) .

- هذه الأنظمة مصرة على سحق التيار الإسلاميّ باعتباره (معارضة) عقدية وفكرية وسياسية ، ومع ذلك فإن هذه الأنظمة لا ترى بأساً في استغلال (إسلاميين) في صراعها مع أنظمة أخرى ، بشرط ألا يشكل ذلك أي خطر عليهم .

▪ حين نميز بين فكر قومي حكومي وآخر شعبي .. فإننا نفعل ذلك رغبة في تبسيط الموضوع .. وإلاّ فإن معظم القوميين -على امتداد الوطن العربي- يحتفظون بصلات تعاون أو تعاطف مع الأنظمة العربية القومية الشعار .

الوضع الحالي :

▪ بعد عقود من هيمنة الفكر القومي برزت عوراته القاتلة ، ولمس الجميع الكوارث التي جلبها على الأمة .

▪ أدت الانهيارات على كل صعيد في أمتنا إلى إشكالات داخل الفكر القومي ، وتعالت أصوات تنادي بنقد ممارسات العقود الماضية ، وبضرورة توليد رؤية جديدة للواقع ، تساعدهم في تحديد أهداف ووسائل كفيلة بمواجهة التردي والاهتراء .

▪ اعترف ناس من التيار القومي (الشعبي) أنه لا يمكن تجاهل (القوة الإسلاميّة) النامية ، وأنه يجب العمل على إنهاء حالة المواجهة بين الفكرة الإسلاميّة والفكرة القومية .

▪ وفي جنبات الحركة الإسلاميّة ارتفعت أصوات تدعو إلى (الحوار) مع التيار القومي .. الذي يعيش أزمة تدعوه إلى مراجعة جذرية للماضي ..

ولا شك أن هؤلاء سيجدون أن الإسلام هو وحده القادر على انتشال الأمة من مهلكات العقود الماضية .

هذا الوضع ساهم في دفع أفراد من التيارين : الإسلاميّ والقومي إلى التفكير بلقاءات حوار .. بحثاً عن صيغة تعايش وعن قواسم مشتركة للتعاون بدلاً من التناحر والتخاصم .

والذي أراه :

▪ ينبغي أن يحرص التيار الإسلاميّ على بناء جسور التعارف والاحترام -على المستوى الفردي والجماعي- مع جميع القوى غير الإسلاميّة التي تعيش في إطار أمة ودولة ، سواء كانت هذه القوى (قديمة) أو (جديدة) .

▪ وينبغي أن يتعود المسلم .. والداعية بشكل خاص .. على مجادلة الآخرين بالتي هي أحسن ؛ فيعرض ما يؤمن به بوضوح ، ويجهر بما يراه صواباً من المواقف بأدب جم .. ويسمع من

الآخرين ما عندهم من رأي وفكر في جو من الاحترام والتقدير .. على الرغم مما قد يقولونه في أصول الإسلام وتشريعاته .. فالإسلام العظيم أقرّ (التعددية الثقافية) في دولته ، وأمر المسلمين بحسن الحوار مع الآخرين : ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ... ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

▪ ولا شك في أن جوهر الخلاف بين التيارين : الإسلاميّ والعلماني -بمدارسه المختلفة- يرجع إلى (المرجعية) أو ما يعبر عنه في السياسة والقانون بـ (الدستور الأساسي) الذي يحدد طبيعة المجتمع وصورته ، ويضبط اجتهاد المؤسسات التشريعية والقضائية والتنفيذية .

وهذا الخلاف ما يزال يفرض (لغة إقصاء الآخر) ويدفع إلى استخدام (العنف) تجاه الآخرين عن الذين لا يملكون السلطة . أما الفريق الذي يشعر بالهزيمة فإنه -غالباً- يلجأ إلى (الكيد والتشويش) ، ولن يتورع عن تفجير المجتمع إذا قدّر أن ذلك بمقدوره ويمنع الآخرين من الانتصار .

وهذه الحقيقة لا يصح التغاضي عنها في أجواء التصدع التي تشهدها البلاد الإسلاميّة ، والعربية منها على وجه الخصوص ، وهذا لا يمنع من تلاقي جهود جميع القوى أو بعضها لمعالجة مسائل مصيرية تتعرض لها الأمة .

▪ **إنّ الفقه السياسي لدى الإسلاميّين والعلمانيين في أمس الحاجة إلى (الاجتهاد) في شروط الدولة المعاصرة .. لأن كل فريق ينطلق من قاعدة رفض وجود الآخر ، وإذا رأينا في هذه الظروف الاستثنائية من يدعو إلى (التعددية الحزبية) و(التداول على السلطة) ونحو ذلك .. فإن هذا لا يفيد أن أصل المواقف قد تغير .**

▪ إننا نرفض تمييع الموقف الإسلاميّ ، ونرى أن قواعد الإسلام ومقاصده كفيلة بتوليد خطاب سياسي أصيل يناسب أمتنا في مرحلتها الحاضرة ، ويكون قادراً على تبديد مخاوف غير المسلمين ، ويقيم الحجة على قدرة هذا الدين على قيادة الأمة إلى النجاة من المهلكات التي تعاني منها .

وحتى تتم خطوات جادة في هذا الاتجاه .. فإن على التيار الإسلاميّ أن يتمرس على العمل الميداني بالقواعد والمقاصد الشرعية .. وعندئذ نرى جيلاً من الدعاة القادرين على حسن التعامل مع علمي (الرواية) و(الدراية) ويومها يعود (فقه السياسة الشرعية) ليزود التيار الإسلاميّ بالبصيرة النافذة .

ظاهــرة العنــف

أصبح العنف ظاهرة يتسع نطاقها ، وتزداد حدتها ، في عدد من أقطار العالم الإسلاميّ ، ويتبادل أطراف المواجهة الساخنة أشنع التهم ، ويحمِّل كل طرف خصومه مسؤولية اضطراب الأمن ، وزعزعة أسس الحياة الاجتماعية !

ونحن ندين كل أشكال سفك الدماء وترويع الآمنين ، ونرى أن ضياع الأمن في المجتمعات مرتعه وخيم على كل صعيد .

وندين في الوقت ذاته كل محاولة تهدف إلى إبراز جانب واحد من هذه المأساة المروعة ، ونرفض جميع المحاولات التي تقوم بها الأنظمة الحاكمة أو المعارضة المسلحة لفرض تفسيرهم لما يقع من دمار .. لأن هذه (العقلية القهرية) هي التي أفرزت بلاء العنف الذي تشكو من ويلاته الأمة !

ولقد تأملنا في ظاهرة العنف فرأينا أن أسبابها ترجع إلى :

- **القهر السياسي**
- **الظلم الفئوي**
- **الصراع بين الحكام**
- **الحضور الأجنبي في القرار أو على الأرض .**

أولاً : القهر السياسي :

لا يخفى على ذي عينين أن معظم حكومات العالم الإسلاميّ تدمن (الإرهاب السياسي) !. وأنها -بفضل أجهزتها الأمنية!- . أضحت مشهورة بقدرتها الفائقة على تكميم الأفواه ، ومصادرة الحريات ، وبث الرعب في القلوب !! فسجونهم يصدق فيها قول القائل :

والسجن بحرٌ من الأهوال قد هلكت فيــــه النفــوس وأمــواجٌ من الألــمِ
جهنــمٌ وعذابٌ غيــرُ محتشــــمٍ لكــل حــرٍّ كريــم النفــس محتشــمِ

إنّ (إرهاب الدولة) يفرض على الناس تحديد المواقف ؛ فمنهم من تسحقه القوة فيستسلم ، ومنهم من يعتزل تيار الحياة ، ومنهم من يختار الهجرة ، ومنهم من يقنع بأعمال جزئية ، ومنهم من يحمل لواء الدعوة إلى إصلاح الأوضاع .. فإن أصابه أذى صبر ، ومنهم من يذهب إلى معاملة إرهاب الدولة بالمثل .. وهنا يظهر (عنف الشارع) في مواجهة (عنف السلطة) وينشر طرفا النـــزاع المسلح (المبررات) التي تجعلهم مقتنعين بأن ما يفعلونه صواب وحكمة !!

إنّ طبيعة أنظمة الحكم في العالم الإسلاميّ هي المسؤول الأول عن بروز (ظاهرة العنف) ، . وبدلاً من التفكير في أسباب المشكلات ، والعمل على توفير شروط صحية تخرج البلاد من ويلات هذه الظاهرة المدمرة .. فإن الأنظمة تصعّد من إجراءاتها القمعية ، وتسميها : إجراءات أمنية! ؛ فتوفر بذلك أجواءً تقتات فيها الكراهية من الكراهية ، ويتغذى العنف من العنف .. وتكون النتيجة ضياع سلامة العباد والبلاد !

إننا ندعو حكّام العالم الإسلاميّ إلى (المصالحة مع الشعوب) و(التعاون مع جميع القوى الفاعلة) على صياغة برامج :

- **تعيد إلى الشعوب حريتها .**
- **وتنهي من حياة المسلمين (حكم الفرد) و(حكم الأسرة) و(حكم العسكر) و(حكم المؤسسات القمعية) ..**
- **وتوفر كل أسباب الانطلاق السليم ، والسير القويم ، نحو تحقيق الأهداف الكريمة .**

وندعو الذين اختاروا (السلاح) وسيلة لتغيير الأوضاع الآسنة ، إلى إعادة النظر في (المقدمات) التي بنوا عليها فهمهم لظروف البلاد والعباد ، وأن يكفوا عن أعمال تزرع الأحقاد وتهين البلاد ، وأن يبتعدوا عن ممارسة القهر السياسي والإرهاب الفكري الذي يزعمون أنهم ينكرونه على أنظمة الحكم .

ثانياً : الظلم الفئوي

يوم برزت دول التجزئة في بلاد المسلمين في العصر الحديث .. ظهرت مشكلات التسلط الفئوي . الذي يرجع إلى غلبة الفكرة القومية في دولة التجزئة التي تعيش فيها قوميات متعددة ، أو التسلط الطائفي ، أو انفراد العشيرة بالحكم والثروات .

ورفض القوميون والطائفيون والعشائريون سماع شكاية من يعيش معهم ، وأصروا على الاحتفاظ بامتيازاتهم -التي وهبوها لأنفسهم !!- واستخدموا آلة الإرهاب والعنف الأعمى في إقناع الآخرين بالعدول عن مطالبهم ، والرضى بما هو موجود .. بل والثناء عليه .. وإلا واجهوا الهوان والفناء !

هذه العقليات الرهيبة زرعت أحقاداً وثارات في النفوس ، وكانت وراء لجوء مجموعات رافضة إلى (السلاح) الذي بات يهدد عدداً من الأقطار بالتجزئة من جديد ! . وهيأ جو الصراع المناخ المناسب لتدخلات أجنبية بشكل مباشر أو مستتر !

إنّ العنف النابع من مستنقع التسلط الفئوي سيستمر إلى أن يفيء المتسلطون إلى رشدهم . وحين يستعدون بصدق لإعادة ترتيب الحياة والثروات .. فإن هذه المشكلة ستجد حلولاً حقيقية ..

وإننا ندعو من أعماق قلوبنا هذه الأنظمة إلى مراجعة الذات ، وتغليب المصالح العامة ، وندعو معارضيهم أيضاً إلى مراجعة .. تنأى بهم عن أن يكونوا أدوات بيد طاغوت زماني أخطر وأكثر شراسة من الطاغوت المكاني .

ثالثاً : الصراع بين الحكام

تستهلك الحرب الباردة والساخنة .. التي تدور رحاها بين عدد من أنظمة الحكم في بلاد المسلمين .. طاقاتٍ عزيزةً كريمة . وكانت هذه الحروب -وما تزال- سبباً من أهم أسباب ضعف أمة الإسلام في هذا العصر .

ومعلوم لدى العارفين أن الأنظمة المتصارعة قد لجأت إلى دعم (المعارضة) في بلد الخصم ، وساعدتها بتأمين المأوى والوثائق والمال ، وبتوفير وسائل التشويش على النظام العدو !! ، ومن ذلك : تزويد المعارضين بالسلاح في حالات كثيرة .

وأسفر عن صراع الأنظمة صراعات داخل عدد من الأقطار .. وكان عنف السلطة في مواجهة معارضيها الذين تعاونوا مع نظام آخر للضغط باتجاه تحقيق مطالبهم .. كان هذا العنف سبباً إضافياً في تفجير صراعات دموية بين السلطة ومجموعات معارضة .

إنّ أجواء الصراع هذه هشَّمت الجبهة الداخلية والخارجية لأقطار العالم الإسلاميّ ، وحطمت أسس العمران في عدد من البلدان . وتهدد أخرى بالبوار .. وفتحت الأبواب أمام جشع طغاة الزمان ليدخلوا منها بأمان إلى قرار المسلمين وإرادتهم .. وإلى ثرواتهم وبلادهم !!

ولم تفلح ما يسمونه (المؤسسات الإقليمية) في حل كثير من الخلافات .. وتدخلت (المؤسسات العالمية)! .. ففرضت هدنة قسرية في أكثر من مكان .. وأخذت مقابلاً لها حريات وثروات وكرامات !! .

رابعاً : الحضور الأجنبي في القرار وعلى الأرض

وهذا الحضور غني عن الشرح .. فالأعمى يحس به إن كان لا يراه !! والغريب أن الحضور الأجنبي المباشر قد عاد إلى مواطن عزيزة .. بموافقة السلطات الحاكمة في عدد من أقطار العالم الإسلاميّ ! .. ولقد عاد هؤلاء الغزاة مستغلين حالات النزاع والحرب بين عدد من الحكام .. وعادوا تحت شعارات تخدع البسطاء .. مثل : (الدفاع المشترك) و(القوات الصديقة) و(المناورات المشتركة) و(الخبراء) ونحو ذلك .

إنّ هذا الوجود القوي للقوات الأجنبية سيولد عند فئة من الرافضين فكرة مواجهته بالقوة .. وسترد السلطات المحلية والخارجية على الرافضين بقوة .. وبهذا يستمر مسلسل العنف !! .

وبعد :

فإننا ندعو جميع الجماعات التي باتت مقتنعة بأن (السلاح) هو طريق تحقيق ما تصبو إليه من خير .. ندعوها إلى مراجعة صادقة لأسس فهمها للواقع ، ولطريقة تعاملها مع أسباب أزماته ..

وهذا لا يعني أننا ندعوها إلى التنازل عن حق أو السكوت على ظلم .. وإنما نريد لها أن تسلك طريقاً إلى أهدافها يجنب البلاد والعباد سلاسل العبودية لطغاة الزمان ..

وندعو حكام المسلمين إلى مراجعة صادقة لاختياراتهم السياسية وغيرها .. وإلى أن يعيدوا إلى الشعوب حقها في صياغة حاضرها ومستقبلها .. ولن يتحقق هذا إلا بالكف عن (القهر السياسي) و(الظلم الفئوي) وإلى رفض (الحرب مع الأشقاء) وإبعاد (قوى الجشع العالمية من إرادة المسلمين وقراراتهم) .

الوعي السياسي
ضرورة حيوية

أدركت الحركة الإسلاميّة المعاصرة أهمية (الوعي السياسي) في عملية تجديد الإسلام في حياة المسلمين ، وضرورته في المواجهة الحضارية مع الفكر المتغلب ، الذي يصر على إقصاء الإسلام وفرض قيم الغرب وشرائعه في حياة الأمة المسلمة .

وتمكنت حركة التجديد الإسلاميّ –على الرغم من العوائق الداخلية والعقبات الخارجية– من بناء مستوى مقبول من الوعي السياسي المنطلق من مبادئ الإسلام الحنيف ، وما يزال أمامها أشواط وأشواط حتى تصل إلى مستوى نضج جماعي على مستوى الحركة والأمة .

وغني عن البيان أن هناك قوى محلية وعالمية ترصد حركة الوعي السياسي الإسلاميّ ، وتضع الخطط لتشويهها وعرقلة نموها ، وتعمل على احتوائها وتبديد تأثيراتها التغييرية .. وأن على الحركة الإسلاميّة ، إذا أرادت النجاة من أحابيل قوى الشر ، أن تولي مسألة الوعي السياسي اهتماماً يتناسب مع ضخامة الواجبات وشراسة التحديات .

وإذا نظرنا إلى مصطلح الوعي السياسي .. فإننا نجده مرتبطاً –من الناحية الواقعية– بالوقائع والأخبار .. باعتبارها إفرازات قوى الواقع التي تقذف إلى ساحة الاهتمام بقضايا متجددة .. تؤثر على الإنسان تأثيراً مباشرا . ومن هنا يأتي الاهتمام الكبير بوسائل الاتصال (الإعلام) من قبل

القوى المتعارضة والمتصارعة .. سواء في أوقات السلم أم في أيام الحرب .. بل ويمكن ملاحظة ظاهرة (الإعلام) حتى في العلاقات الفردية والجماعية المحدودة .

والوعي السياسي الذي يتعامل مع الوقائع والأخبار يقوم على أصلين من وجهة النظر الإسلاميّة :

أولاً – صحة الخبر : والمعبر عنه في تراثنا الفقهي بـ (علم الرواية) ؛ فلا يصح أن يتعامل المسلم مع الوقائع .. فيقبلها أو ينقلها .. إلا إذا اطمأن إلى صحتها .. وهذا الأصل دلت عيه نصوص كثيرة ، نذكر هنا منها :

- قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ** ﴾ [الحجرات: ٦] .
- وقوله ﷺ : « **كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ** » رواه مسلم

لأن كثيراً من الأخبار ربما كانت مكذوبة أو ناقصة ، وفي الحالتين يسهم ناقلها –إذا لم يتبين صحتها ويقف على نقصانها– في إشاعة الكذب وتضليل الآخرين ، وقد يكون الناقل أول ضحايا الأخبار الكاذبة أو الناقصة !! .

ملاحظتان تتعلقان بصحة الأخبار :

الأولى : ينبغي أن يولي تيار التجديد الإسلاميّ موضوع (التثبت من صحة الأخبار) أهمية خاصة ، لأن الآراء والمواقف والتصرفات لا تستقيم إلا إذا قامت معلومات صحيحة .

وهذا يفرض على المسلم أن يتمرس على التفريق بين (التقوى) وبين موهبة (الحفظ) وبين (نوعية المحفوظ) . إذ لا يشترط في تقيّ القلب أن يكون (حافظاً) ، ولا في الحافظ للنصوص والأخبار أن يكون قادراً على التمييز بين الصحيح المقبول منها والجريح المردود . ومَنْ جمع بين (التقوى والحفظ والتثبت) كان قمة في المرجعية ، ومَنْ فقد (التثبت) فإن التقوى وكمية المحفوظ لا تشفعان في قبول ما ينقله من الوقائع والأخبار .

الثانية : ويجب أن يتحلى المسلم بـ (العدل) حتى مع الخصوم ؛ فلا يصح أن يقبل كل ما ينسب إليهم ، أو يرفض كل ما صدر عنهم ، من غير تمحيص .

وهذا ما يرشد إليه قول ربنا الكريم :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٨] .

ثانياً : تحليل الخبر : والمعبر عنه في أدبيات سلفنا بـ (علم الدراية) ، والذي يفرض التفريق بين من (يحفظ الأخبار) وبين من (يفقه الأخبار) إذا تعذر اجتماع موهبة الحفظ وقوة الفقه في شخص أو مجموعة أفراد . وهذا التمييز ضروري لأن عامة الناس تبهرهم الحافظة الجيدة ، فلا يسألون : هل وراء الحفظ قلب مدرك أم لا ؟ . وما أروع وأعمق توجيه الرسول ﷺ إلى ضرورة التمييز بين (الحافظ) و(الفقيه) وذلك في قوله :

« **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا ، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ** » رواه الترمذي وغيره بسند صحيح .

وقد جاء التوجيه القرآني واضحاً حاسماً في الطريقة المثلى للتعامل مع الأخبار ، وخاصة تلك التي تتعلق بأمن الأمة والبلاد ، وذلك في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء: ٨٣] .

قواعد فقه الأخبار (الوعي السياسي) :

١- **الوقائع** : فلا يكفي الاطمئنان إلى صحة الأخبار ، بل لا بد من معرفة أمور أخرى ، مثل : ما درجة وضوحها ؟ هل هي جزئية أم كاملة ؟ ما ملابسات حدوثها ؟ .. إلخ

٢- **المعلومات السابقة** : وتتعلق بـ :

أ- الجهة التي صدر عنها الخبر .

ب- الجهة التي يعنيها الخبر .

وتحت هذا العنوان يدخل مسائل مثل : (نظام الحكم) (تيارات المجتمع وقواه السياسية) ، (المصالح : هل هي حيوية أم لا ؟) (التكوين الثقافي لأصحاب القرار) .. إلخ .

٣- **الربط بين الوقائع والمعلومات السابقة** : وقوة الربط يتفاضل فيها الناس ، ولذلك فإنهم يتفاوتون في تحديد المواقف ، وفي توقع ردود الفعل ، ونحو ذلك . وهنا تظهر نظرية البدائل أو الاحتمالات .

نظرية البدائل : يهدف الوعي السياسي إلى توفير شروط مناسبة لفهم الوقائع وتحليلها ، من أجل تحديد الموقف المناسب ومعرفة خطوات المستقبل .

والتعامل مع الحوادث السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تحكمه -من وجهة النظر الإسلاميّة- نصوص محددة في الأعم الغالب ، وإنما تضبطه قواعد مستمدة من أحكام الإسلام ومقاصده ، مثل :

- **درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .**
- **يُحْتَمل أخف الضررين لاتقاء أشدهما .**
- **تفويت أصغر المصلحتين لتحصيل أكبرهما .**
- **الضرورات تبيح المحظورات .. إلخ .**

وهذا يفرض على العاملين في الحقل السياسي -وغيره من أوجه النشاط الإنساني- فكرة البدائل بضوابط الشرع ، ونظرية البدائل تطرح مجموعة حلول ، وتطالب باختيار الأفضل من وجهة نظر صاحب القرار . ونضرب مثالين يقربان المقصود بنظرية البدائل :

١- يتفق جميع العاملين في حقل الدعوة الإسلاميّة على وجوب العمل على إصلاح واقع المسلمين داخل حدود العالم الإسلاميّ . ولكن ما هو الطريق الأمثل الواجب اختياره (بدائل) في عملية التغيير ؟ هل هو (سياسي) أم (عسكري) أم (ثقافي) أم (إصلاحي) ؟

هذه خيارات رئيسية (بدائل) ، وقد يدمج بعض العاملين بين الثقافي والسياسي ، أو الإصلاحي والثقافي ، أو السياسي والعسكري ، أو ، أو .. إلى آخر قائمة البدائل .

٢- أما إضراب عمال شركة صناعية ومطالبتهم برفع الأجور تقف إدارة الشركة ، أو السلطة الحاكمة ، أمام خيارات رئيسية (بدائل) :

- قبول الطلب .
- تعديل الطلب .

- رفض الطلب
- تأجيل الطلب .

وقد يدمج بين بديلين أو أكثر ، وبذلك يكثر عدد البدائل .

وأخيراً .. فإن الحياة البشرية في تغير مستمر ، وتشابكها وتقاطعها لا يقف عند حد ، وأمام كل قضية يقف الناس عند نقاط هامة :

١- تحديد المشكلة أو الموضوع ، وما هو الجوهري منه والهامشي .

٢- اكتشاف خيارات التعامل مع المشكلات وتحديدها .

٣- اختيار الحل المناسب ، كما يلوح لأصحاب القرار ، في حدود إمكاناتهم المادية ، وشروطهم الاجتماعية ، وظروفهم النفسية ، وعلاقتهم بقوى أخرى .. إلخ .

والخيارات تكون غالباً محفوفة بمخاطر ، وقد لا تسلم من مخالفات أو اعتراضات ، وهذه الحقيقة تطالب تيار التجديد الإسلاميّ برفع مستوى فهمهم للإسلام ، وبخاصة (فقه المقاصد بضوابط الشرع) وبرفع مستوى معرفتهم بالواقع وحقائقه ، وأن يتمرسوا على حسن التعامل مع المتغيرات ، إذا أرادوا امتلاك البصيرة في حمل أمانة الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ .

هل أنت شمولي ؟

يحلو لعدد من العاملين في الحقل الإسلاميّ أن يتحدثوا عن معاني (الشمولية) في أهدافهم وشعاراتهم .. وينتقدون بشدة من يميل إلى رفع شعار أو هدف (جزئي) ويتهمونه بالجهل ونتائجه (المحدودية ، البدعة ..) أو بالخوف من حمل تبعات العمل الشمولي .. ويؤكدون أن سعي الجزئيين لن يكتب له النجاح ، وأنه قد يكون -من حيث لا يريد هؤلاء- أداة تشويه فكري ومحاصرة ميدانية لعاملين مخلصين .

ولكن حين ننظر إلى واقع هؤلاء (الشموليين) فإننا نجد أنهم قد اهتموا -عملياً- بجانب من

الواجبات ؛ شغل أوقاتهم ، وجندوا له طاقاتهم. والغريب العجيب أن هؤلاء يرفضون أن يوصفوا بجزئية الاهتمام ، وربما ذكروا أمثلة معزولة -يتيمة- للتدليل على أنهم شموليون فهماً وممارسة !!.

وتوضيحاً للكلام السابق أضرب أمثلة تقرب ما أرمي إلى بيانه :

١- في صفوف الحركة الإسلاميّة تيار يؤكد على مسألة إصلاح العقيدة ، ويصر هؤلاء على أن معنى (العقيدة) يشمل ضلالات قديمة وجديدة. ولكن واقع معظم المنتمين إلى هذا التيار يدل على أنهم يهتمون بالانحرافات والبدع القديمة ، ولا يعيرون الانحرافات الفكرية والسلوكية المعاصرة كبير اهتمام . وقد نرى بعض رموزهم العلمية يسير في ركاب أنظمة ترفع شعار الإسلام والتعاطف معه .. وتقود العباد والبلاد في طريق الانسلاخ من الهوية الإسلاميّة .. ومع ذلك فإن أولئك العلماء يسكتون ، بينما نراهم يثورون ويسودون الصفحات في الرد على أفراد يتبنون فهماً مرجوحاً ، وقد ينالون من صدق إيمانهم !. فأين شمولية العلم .. وشمولية الفهم .. وشمولية الممارسة ؟!.

٢- وفي العاملين للإسلام تيار ينادي بالشمولية ، ولكنه اهتم -عملياً- بمقارعة التغريب .. ممثلاً بأنظمة الحكم والتيارات العلمانية. ولا يهتم معظم هؤلاء بأمور تتعلق بـ (الإيمان) والشعائر التعبدية ولا يشعرون بخطورتها ، بل إن فيهم من تأثر بمسائل مرجوحة أو مردودة .. فهو يدعو إلى إنقاذ الآخرين وهو نفسه في خطر !! فأين الشمولية المزعومة ؟!.

٣- وهناك تيار ركز على التربية في جزء من جهوده ، ودخل المعترك السياسي أيضاً ، فظن أنه شمولي فكراً وعملاً. وبتوسيع النظر نلمس أنه يمارس (الجزئية) في الاهتمام والممارسة ، وإن كان من الناحية الفكرية شمولياً !!.

النتيجة : لقد طرحت هذا الموضوع بهذه الصورة المبسطة رغبة في توضيح عدد من المسائل الضرورية :

أولاً : لا ريب في أن النظرة الشمولية إلى الإسلام تهبنا بصيرة تساعدنا على إنزال كل مسألة المنـــزلةَ التي أرادها الله عزَّ وجلَّ علماً -عقيدة- وعملاً . وهذا الموضوع ينبغي أن يكون محط اهتمام كل مسلم .. لأن الخلل قد يكون باباً من الانحراف المهلك . ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٨] .

ثانياً : ولكن تقرير النظرة الشمولية شيء .. وحملها إلى التطبيق شيء آخر. ونظرةٌ متجردة إلى الجماعات والتيارات الإسلاميّة تؤكد أن كل جماعة قد تبنت –نتيجة ظروف علمية وبيئية وسياسية– مقدمات ألزمتها بمنهج في الفهم وبطريقة التعامل مع الواقع .

ولكي تعرف كل جماعة مجال تخصصها في الجهد والاهتمام .. فإن عليها أن تنظر إلى تصنيف الناس لها .. وإلى ما تقوم به من أعمال ، وما تلزم به نفسها من قواعد وضوابط .

وهذه الحقيقة (التخصص في الاهتمام والجهد) تفرض على العقلاء التلطف في النقد .. لأن ما تأخذه كل جماعة على غيرها في مجالي العلم والعمل تمارسه هي نفسها عمليا .

ثالثاً : إن هناك فرقاً بين (المؤسسات الثقافية الفكرية) وبين (المؤسسات الحركية) فالمؤسسة الفكرية مهمتها الأساسية البيان والتأصيل والتنظير .. بينما دور الجماعات الإسلاميّة (المؤسسات الحركية) حمل جهود العلماء والمفكرين إلى الناس وتربيتهم عليه . وهذا ما تفعله الجماعات مع رجال الفكر والعلم ، حتى وإن كانوا لا يشكلون مؤسسة جماعية .

وإذا نظرنا إلى جماعات الدعوة ، أي المؤسسات الحركية ، في عصرنا .. فإننا لا نعثر على جماعة تمكنت من جعل الجماعة بكاملها مؤسسة فكرية .. لأن الاجتهاد الفكري –كغيره من ألوان الاجتهاد البشري– لا يجيده إلا قلة من الناس .. فما كل من رفع لواء الوعي الفكري كان مفكرا. نعم قد يكون في صف جماعة ما أفراد عندهم نبوغ في مسائل فكرية .. فهؤلاء فيما يجيدونه قوة في بصيرة الجماعة إذا أحسنت الاستفادة مما عندهم ..

رابعاً : وبما أن الإنسان يتفاعل مع ما يصل إلى سمعه ، وما يقع تحت بصره ، وما يكتنف حياته من مؤثرات يتجاوب معها .. فإنه عرضة للاستغراق في هموم وقضايا قد تخرجه عن النظرة الشمولية أو الممارسة الشمولية أو كلتيهما معا .. فإذا كان هذا الإنسان رأساً في جماعة فإن تقلبات الظروف وتأثيرات المعرفة تحمل معه الجماعة أيضاً إلى اللون الفكري والسياسي والتربوي الذي تأثر به .

خامساً : إن شمولية العلم هي الأصل ، وهذه يمكن تحصيلها ، أما شمولية العمل .. فإن الأفراد والجماعات غير قادرين على تحقيقها .. لأن هذا مهمة الأمة .. وحتى التكاليف الشرعية

فإنها لا تجب على الأفراد إلا إذا توفرت شروط وجوبها والقدرة على القيام بها ..

ولا يحط من قيمة جماعةٍ إحسان ما تحسنه من عمل ، ولا يصح أن يؤخذ على جماعة تركيزها على مسائل معينة ، ما دامت تتوفر لديها الشمولية العلمية ، وينبغي أن نعترف بالتخصص الجهدي وأن نمهد لشيوع فكرة تكامل العاملين .

عالجوا أسباب الإرهاب!

كان حادث تفجير حافلة سياحية في القاهرة يوم ١٩٩٧/٩/١٦م ، والذي أودى بحياة تسعة من السياح الألمان ، والسائق المصري ، وخلّف عشرات الجرحى ، مناسبةً للحديث عن (ظاهرة الإرهاب) وأسباب انتشاره في كثير من بلدان العالم .

ولا يتردد مسلم في استنكار أعمال العنف والتنديد بكل عمل يزهق أرواح الأبرياء الآمنين، بصرف النظر عن دين وجنس ولون الذين يمارسون الإرهاب أو الذين يذهبون ضحيته ، كيف يتردد وهو يقرأ قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... **مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ... ﴾ [المائدة: ٣٢].

وكما أن إنكار التصرفات المؤذية والمزهقة لحياة الإنسان واجب لا يصح التخلي عنه .. فإن البحث عن الأسباب الحقيقية المحرضة على القيام بأعمال إرهابية أكثر وجوباً ، لأن معرفة الدوافع أول طريق معالجة هذه الظاهرة المفسدة في الأرض ، والتي تصر قوى عالمية ومحلية على إقصاء البحث عن الأسباب من دائرة الاهتمام .

فما هي أسباب العنف والإرهاب ؟

إن السبب الرئيس لبروز الأعمال الإرهابية والعنفية كامن في الابتعاد عن الحلول الحقيقية لاختلال التوازن في العلاقات بين قوى شعب واحد ، أو بين شعبين أو أكثر . لأن عدم وجود حلول للأزمات يؤدي إلى تراكم مقولات وتفسيرات تعتمد على ثقافة ومصالح ، وقد تفرز تلك المقولات منظومة فكرية تبيح لأصحابها القيام بأعمال تفوح منها رائحة الدماء ، وتجلب -إذا اتسع

نطاقها- الدمار النفسي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي للجماعات والشعوب .

هذه الحقيقة نراها في مواطن كثيرة .. نذكر منها :

١- **إسبانيا** : التي تعاني منذ عقود من النـــزاع القومي المتمثل في رغبة شعب الباسك في تحقيق وجوده القومي وتكوين دولته ، وحين اصطدمت هذه الرغبة بإنكارها وملاحقة أصحابها برزت منظمة ETA التي تبنت القيام بأعمال إرهابية ، مثل : مهاجمة مراكز الشرطة ، ووضع متفجرات في الأماكن السياحية ، وتفجير سيارات ، واختطاف أرباب مال وأعمال وموظفين كبار وقتل بعضهم .. الخ. وقد فشلت محاولات الخروج من الأزمة المزعجة على الرغم من الزعم بأن السعي مستمر .

٢- **إيرلندا الشمالية** : اعتمد الكاثوليك في إيرلندا الشمالية على العصبية المذهبية والقومية في المطالبة بالانفصال عن بريطانيا العظمى ، وحين انسدت قنوات التفاهم مع السلطة المركزية ، ظهرت منظمة الجيش الجمهوري (IRA) التي تبنت العمل المسلح لإزعاج الحكومة وإرغامها على التفاوض بخصوص مستقبل الإقليم ، وانتقلت الحكومات البريطانية المتتابعة من موقف الرفض الكامل لأي تفاوض إلى الاستعداد لتناول الموضوع مع أطراف النـــزاع الداخلية والخارجية ، وكان للوساطة الأمريكية تأثير في التوصل إلى هذا الرأي .

٣- **الفليبين** : شعر المسلمون في الجزر التي يشكلون أغلبية السكان فيها أن هناك هجرة منظمة تهدف إلى جعلهم أقلية في مواطنهم ، وأن هناك إبعاداً متعمداً لهم عن مراكز السلطة في جزرهم ، وأن ثقافتهم الإسلاميّة تحاصر من قبل السلطة المركزية في دولة الفيلبين الحديثة ، فلما لم تستجب الحكومات لمطالبهم في الحفاظ على خصائص منطقتهم ، أدى ذلك إلى ظهور جماعات حملت السلاح وسيلة تعبير عن رفض سلوكيات السلطة المركزية ، وبعد سنوات من المواجهات الساخنة توصل طرفا النـــزاع إلى حلول نرجو أن توقف حمامات الدم والدمار .

٤- **كشمير** : وسبب محنتها راجع إلى عدم الوفاء بشروط تقسيم القارة الهندية ، حيث نصت على أن الأقاليم التي يشكل المسلمون أغلبية سكانها فإن من حقها أن تنضم إلى باكستان ، ولكن الهند رفضت ذلك ، وباشرت بأعمال تهدف إلى تغيير التركيبة السكانية ، وإلى إضعاف الانتماء الإسلاميّ. وهذا دفع قوى كشميرية إلى الاحتجاج ، ووصل فريق منهم إلى حمل السلاح والقيام بأعمال تزعج السلطة ، وتنقل قضيتهم إلى المحافل الدولية ، وكانت هذه الأزمة سبباً في

حربين طاحنتين بين الهند والباكستان ، وهناك الآن محاولات للتفاوض بين الدولتين على إقليم كشمير ، وهي مفاوضات متعثرة ، ونرجو لها النجاح.

٥- **فلسطين** : وترجع ردود أفعال أبناء فلسطين هذه الأيام إلى سببين : أصلي وفرعي ؛ أما **السبب الأصلي** فإنه القرار الجائر الظالم الذي اتخذته أوروبا ممثلة في بريطانيا العظمى والقاضي بإقامة دولة قومية لليهود في أرض فلسطين ، ونتج عن هذا ما هو معروف من هجرة اليهود إلى فلسطين وتهجير أبناء فلسطين ، وها هي مجتمعات اللاجئين داخل فلسطين وخارجها تذكر صباح مساء بهذه الجريمة الشنعاء ، التي ما تزال حراب الغرب وسلطانه السياسي والاقتصادي مستمرة في حماية الكيان الجائر.

أما **السبب الفرعي** فيتمثل بالإذلال والاحتقار ، ومصادرة الأراضي ، وإقامة المستوطنات ، وفرض الأمر الواقع بالقوة .. وذلك على الرغم من معاهدات اعتراف منظمة التحرير بالكيان الصهيوني ورعاية أمريكا لاتفاقات أوسلو الاستسلامية !!

٦- **الجزائر** : منذ استقلال الجزائر عن فرنسا عام ١٩٦٢م قام فيها نظام العسكر الاستبدادي ، فتجمعت عوامل دفعت مجموعات إلى التفكير بمقاومته بالسلاح ، ثم جاءت حوادث عام ١٩٨٨م ؛ فأطلقت الحكومة الحريات ، وأذنت بتشكيل أحزاب وإجراء انتخابات ، وتوارت جماعات العمل المسلح ، فلما بدت بوادر فوز ساحق للجبهة الإسلاميّة للإنقاذ ، وانقض العسكر على السلطة ؛ فأزاحوا رئيس الجمهورية ، وأوقفوا المسار الانتخابي ، وقمعوا الحريات .. أطل قرن العنف .. ومن يومها فإن الدماء تسيل والأرواح تُزهق والدمار ينتشر .. وتطورت الأمور إلى ألوان من القتل الوحشي للكبار والصغار والنساء والرجال .. ولم يعد أحد قادراً على إيقاف المجزرة الرهيبة أو معرفة القتلة الحقيقيين !!

٧- **مصر** : ونعود إلى مصر .. فقد سبقت مصر معظم الشرق الإسلاميّ بالعلم ، وتخرج من مدارسها ومعاهدها وجامعاتها أجيال أخذت بقسط وافر من المعرفة ، وهذا أثر على التكوين الفكري والاجتماعي ، وباتت جماعات مثقفة تشعر بأن لها دوراً في إنهاض الأمة والمشاركة في الحياة العامة .. هذه الجماعات اصطدمت بنظام سياسي يعتمد على الجيش ومؤسسات أقامها لحمايته .. فلما يئست جماعات من حدوث تغييرات تسمح لها بدور مناسب .. تراكمت الحساسيات فولدت منظومات متقاربة ، وتعتمد جميعها على فكرة مقاومة الحاكم بالسلاح.

وشهدت أرض الكنانة مواجهات عنيفة بين الجماعات المسلحة وبين نظام الحكم ، وارتفعت أصوات تدعو إلى التفاهم ، ولكن السلطة آثرت (الحل الأمني) ، ورفضت كل محاولات الوساطة .. وظنت أنها قمعت المعارضة المسلحة .. ولكنها في كل مرة توحي بذلك يأتي ما ينقض هذا الادعاء.

من هذا العرض الموجز لانتشار ظاهرة الإرهاب يتبين لنا أن الأزمة الحقيقية كامنة في عجز أطراف النزاع عن العثور على صيغة تفاهم تنـــزع فتيل المواجهات الدامية ، ويُظهر العرضُ لكل منصف أن دور الحكومات أساسي ، إذ يجب على نظام الحكم ألا يحصر نفسه في أحكام منظومته الفكرية ورؤيته المصلحية ، ولا يصح أن يغمض عينيه عن رؤية المتغيرات العميقة والحاجات الضرورية التي تحيط به من كل مكان .

لقد بات واضحاً للذين لا ينظرون إلى ظاهر عمليات الإرهاب أن **عنف السلطة** الحاكمة ، أو تجاهلها للمشكلات الجوهرية ، هو المسؤول عن **عنف المعارضة** ، وأنه آن الأوان لكي تراجع الحكومات خياراتها السياسية والأمنية ، إذا أرادت لعاصفة الإرهاب أن تهدأ.

وهذه الحقيقة لا تعفينا من إدانة **عنف المعارضة** ، كالذي حدث في القاهرة ، لأن الإنسان العاقل لا يلجأ إلى أسلوب غير حضاري في مواجهة المشكلات التي تعترضه ، بل عليه أن يعتصم بأخلاق وأعمال تدل على أنه ليس كرجال نظام الحكم ، يفكر في السلاح لحسم الخلاف السياسي.

إننا ندعو جميع أطراف النزاعات إلى تحكيم العقل ومصلحة العباد والبلاد عندما يحتدم الخلاف ، وإلى البعد عن التهديد باستعمال القوة ، وهذا لا يتأتى إلا بالتوقف عن الظلم ، وإلا برد الحقوق إلى أصحابها على المستوى الداخلي ، بين الحاكم والمحكوم ، وعلى المستوى الدولي بين الدول .

المسلمون وقوى التسلط العالمي

تشهد الدنيا منذ عقود ظهور تيارات احتجاجية تؤمن بالإسلام منهج حياة ، وتنادي بالتحرر من الفكرة الغربية التي فُرضت على المسلمين ، وهي مغايرة لحضارتهم وثقافتهم ، وتؤكد هذه التيارات على عدوانية الغرب وانتهاكه لحرمة أرضهم وثقافتهم ، وثرواتهم ، وحقهم في النهوض والمشاركة في قيادة سفينة البشرية .

ولقد أدرك أصحاب القرار السياسي والاستغلالي (الاستعماري) في الغرب أن العالم الإسلاميّ يمور بحركات وأفكار ، وأن بحث المسلمين عن حريتهم قد يعيد صياغة النظام العالمي ، الذي أقامه الغرب وفرضه بالترغيب والترهيب منذ قرن من الزمان ، ولهذا فقد صمم صناع السياسة الغربية على التصدي -بقوة وشراسة- لكل الصيغ التي تحاول الفكرة الإسلاميّة النفوذ من خلالها إلى ساحة المواجهة المكشوفة المباشرة مع الفكرة الغربية وإفرازاتها ، ولعل الأمثلة توضح هذه الحقيقة ، وسأشير إلى الجديد منها :

- **فلسطين : من الذي صنع مأساتها ؟ ولماذا ؟**

الجميع يعلمون أن دول أوروبا الاستعمارية هي التي اتخذت قراراً بتجزئة المنطقة العربية ، التي تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وبإقامة جسم بشري غريب وقوي يمزق أوصالها ، وقد أوصت بذلك لجنة ترأسها اللورد باترمان عام ١٩٠٧م من أجل مواجهة التحديات التي تهدد مصالح الاستعمار الأوروبي . ثم جاءت أمريكا فورثت القوى الأوروبية الاســتعمارية ، وتبنت هذا القرار الجائر .. لأن هذه المنطقة ما تزال تشكل تهديداً لقوى التسلط العالمي .

ويعلم الجميع أيضاً أن عملية تزوير التاريخ والواقع قد تمت من خلال ما أسموه (الشرعية الدولية) التي أصدرت قرارات جائرة تقضي بسلخ أجزاء من فلسطين وإعطائها لليهود ؛ الذين هُجِّروا إلى هذا الجزء العزيز من بلاد المسلمين .

وحين نهضت مجموعات تروم مقاومة الاستعمار الاستيطاني ، عملت قوى القهر العالمي والمحلي على إدخال المنطقة في حروب وأزمات رهيبة ، وفي أثناء ذلك نمت صحوة إسلامية داخل فلسطين وخارجها ، وكان أن عبرت عن نفسها داخل حدود فلسطين بانتفاضة شعبية مدركة لأبعاد التآمر العالمي والتخاذل العربي .

هذي الحجارةُ يا أبي لغةٌ لنـــا لمـــا رأينـــا أننـــــا لا نُنصـــــفُ
لمـــا رأينـــا أن «حاخاماتهم» يتلاعبون بنا فيرضى«الأســـقُفُ»
لمـــا رأينـــا أن أمتنـــــا على أرض الخـــلاف قطارُها متوقِّـــف

في هذه الظروف المبشرة بظهور جيل جديد من المقاومين الرافضين للهزيمة .. وفي ظروف متغيرات دولية .. طرحت أمريكا (الحل السلمي) وسارت بالفكرة شيئاً فشيئاً إلى أن حصلت على اعترافات جماعية من (جامعة الدول العربية) و (منظمة المؤتمر الإسلاميّ) بأن (إسرائيل) وجدت لتبقى ، وأن ما سلبته في حرب ١٩٤٨م حلال لها ، وإنما الخلاف حول ما احتلته بعد حرب عام ١٩٦٧م ، فهذا فيه قرارات دولية صريحة !! . ونتج عن هذا التوجه (كامب ديفيد) و (أوسلو) و (وادي عربة) .. وأكاد أقول : إنه لم يبق في خندق المقاومة الحقيقية إلا التيار الإسلاميّ كقوة معتبرة . وهذا التيار تنهال عليه السهام من خارج الحدود وداخلها ، وتنال منه قوى التشويه والتزوير والهزيمة وتحاصره .. وصار صاحب الحق (إرهابيـــاً) متطرفـــاً ، وعليه أن يختار أحد أمرين : إما السكوت وإما التصفية ، سواء كانت حقيقية أم معنوية !! وقد تتمكن قوى القهر والاستغلال من القضاء على الصورة الآنية لمقاومة الأمة ، ولكنها لن تستطيع اقتلاع حقيقة الاستعمار الاستيطاني اليهودي المدعوم من الغرب ، وستبقى الأمة منتجة لصور الرفض والمقاومة إلى أن يحق الحق ويزهق الباطل .. ويبوء المعتدون بالخسران ..

▪ **القوقاز** : وهي أرض إسلامية اعتدى الروس عليها فسلبوها ، وأذاقوا سكانها ألواناً من التعذيب والاضطهاد والتهجير ، ونهبوا خيراتها .. حتى خُيل للناس أنها جزء من الإمبراطورية الروسية .. بل إن معظم المسلمين قد جهلوا حقائق تاريخ هذه المنطقة وجغرافيتها .. إلى أن فاجأ الشيشان الدنيا بمطالبهم التي لا يجوز أن يختلف فيها اثنان .. وهي : **أن ترحل روسيا من أرضهم وإراداتهم وحضارتهم** ، وهذا ما يعبر عنه دولياً بـ (حق تقرير المصير) .. وكانت جولة صراع مرير شهدناها بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦ ، أسفرت عن اتفاق يعترف للشيشان بخصوصياتهم ، ويعد بحل علاقتهم مع الاتحاد الروسي بطرق حضارية .. ولكن الدولة الروسية لم تفِ بوعودها ، وحاولت الالتفاف على الاتفاق بتعزيز وجودها في مناطق محيطة بالشيشان كداغستان ، وهذا الذي فجَّر الأوضاع وطرح من جديد أزمة القوقاز .

وهبت قوى التسلط والقهر العالمي لتصنع في القوقاز ما صنعته في فلسطين .. وأبرزت دعاة التحرر والاستقلال (مخربين) و (إرهابيين) ويجب أن يتضامن المجتمع الدولي في التصدي لهم !! واستغلت سلطات الجشع الدولي كون الإسلام هو المحرك للمطالبة بالتحرر والانعتاق من العبودية للدولة الروسية .. فشنت حملة رهيبة أوصلت من خلالها رسـالة إلى الناس ، ومضمونها (الإسلاميّون إرهابيون) و (الإسلام دين دموي) !! .

أمام هذا السلوك الجائر .. استسلمت حكومات العالم الإسلاميّ ، وتناست الحقائق ، ورفعت صوتها منددة بـ(الإرهاب) ، وكان عليها أن تقول : كفوا عن تزيف الواقع وناقشوا جوهر الموضوع ، وارفعوا أيديكم عن القوقاز المسلمة .

▪ **الجزائر** : وقصتها تتلخص في أن تيار التغريب شعر بأن الشعب يؤيد التيار الإسلاميّ ، فسارعت المؤسسة العسكرية إلى تسفيه عقول الشعب الجزائري الذي أساء الاختيار وأوقفت الانتخابات التي قالت بصراحة : لا للاستلاب الحضاري ونعم للهوية الإسلاميّة الأصيلة . ومنذ ذلك اليوم والجزائر تموج في بحر من الدماء .. ولم تقف قوى التسلط العالمي مكتوفة الأيدي ، بل سخرت وسائلها ودهاتها وأتباعها لتأزيم الموقف حتى يصير الحليم حيرانا .. ودخلت وسائل التشويه والتضليل المعركة فأبرزت الإسلاميّين (إرهابيين) ، (متشددين) ، (دمويين) .

▪ **تركيا** : التي كانت آخر معقل للخلافة الإسلاميّة .. وجهت أوروبا من خلالها ضربة ظنتها تقضي على الفكرة الإسلاميّة ، فدعمت توجهات أتاتورك الذي خالف القيم الإنسانية جميعها ، حتى خُيّل إلى العلمانيين أن الإسلام قد رحل عن تركيا ، ومرت سنوات وسنوات وإذا بالإسلام العظيم ينهض داعياً إلى الأصالة ومحذراً من الفكر الدخيل الذي دمر البلاد وآذى العباد ، وعبر الفكر الإسلاميّ بصور متعددة عن رفضه للتغريب ..

لم يحتمل علمانيو تركيا رؤية رجال ونساء مثقفين يتبنون الإسلام منهجاً للحياة ، ويطرحونه بديلاً للفكرة الغربية الاستعمارية ، ويؤمنون أنه السبيل الوحيد الذي ينسجم مع طبيعة الشعب ويخرج بالبلاد من التبعية ، لذلك سارعوا إلى المحاصرة وسعوا إلى حظر ما يظنون أنه محاولة إسلامية للسيطرة على المجتمع والدولة !! .

▪ **إندونيسيا** : وحتى هذا البلد الذي سيطر عليه الاستبداد المدعوم بالتأييد الغربي ، والذي سعى إلى وأد الأصوات المعارضة ، وخصَّ الاتجاه الإسلاميّ بالمراقبة والأذى الكبير ، وفتح أبواب

إندونيسيا أمام التنصير حتى باتت مضرب المثل في هذا المجال .. إندونيسيا هذه فاجأت العالم بأن التيار الإسلاميّ موجود ، وأنه ينظم نفسه للمشـــاركة في الحياة السياســـية ، وفق الدستور المعمول به في البلاد ، وحين اختار مجلس الشعب الاندونيسي مرشح التيار الإسلاميّ ليكون رئيساً للبلاد ثارت ثائرة المتغربين والغرب .. وظهرت التحليلات التي تنال من الإسلام وتتهم المسلمين بالتشدد وضيق الأفق ..

إن الغرب يمتاز بوجود مؤسسات الرصد والتحليل والاستنتاج .. وهي من غير ريب ترصد توجهات الناس ، وقد أحست أن نَفَساً إسلامياً هادئاً يروم التحرر من قبضة الهيمنة الغربية .. وأن على الغرب أن يتصرف .

▪ **الخليج** : وما جرى فيه من حروب طاحنة مدمرة .. لم تكن قوى التسلط العالمي بعيدة عنه ، فقد أدركت هذه القوى أن المنطقة قد تجمعت فيها إمكانات واعدة بالتحرر ، وأن حركة نشـــيطة تعمل على تراكم الأفكار والمفاهيم والأخلاق المحررة من السيطرة الثقافية ، والداعية إلى النهوض الحضاري، وقدَّرت دوائر الرصد أن إيران تتفاعل فيها عوامل الانفجار والثورة ، وأن مصلحة أمريكا في ترك الأوضاع تسير إلى الإطاحة بالشاه ، وهذا يضمن تأزيم المنطقة وإدخالها في صراع مذهبي وفكري ، فإذا وقع الصراع الطائفي كان التدخل الأمريكي (الغربي) له ما يسوِّغه .

واندلعت حرب الخليج الأولى ، ووقفت دول الخليج خلف العراق ، ودعم الغرب العراق مستفيداً من الأموال الطائلة التي قدمتها حكومات خليجية ، وغرقت المنطقة ، والعالم الإسلاميّ ، بالدماء والدمار والأحقاد .. !!

وحين توقفت الحرب العراقية-الإيرانية كان لا بد من استغلال إفرازاتها المستنقعية ، وكانت أمريكا قد هيأت نفسها لمهمة مباشرة في الخليج ، وبدأت بحماية سفن النفط ، فلما وقع الخلاف بين العراق والكويت قامت بتأزيم المواقف ، ويوم هجم العراق على الكويت انتهزت أمريكا الفرصة وقذفت بقواتها إلى الخليج ، وبعد خروج العراق من الكويت بقيت قواعد أمريكا البحرية والبرية ، وباشرت نوعاً من الاستعمار المباشر .

ولما ارتفع الصوت الإسلاميّ داعياً إلى رحيل القوات الأجنبية ، والفكرة الغربية ، أطلقت أمريكا -ومن ورائها أوروبا- حملتها الشعواء الهادفة إلى التشكيك بالحركة الإسلاميّة ، وإلى محاصرتها وضرب مؤسساتها وما سمته (البنية التحتية) .

وبعد : فهذه أمثلة يسيرة توضح أن هناك عدواناً غربياً واسع النطاق ، وشاملاً لأدق شُعَب الحياة في العالم الإسلاميّ ، وأن أهداف هذا العدوان هي : **مسخ الإنسان المسلم ، وفرض التبعية على هذا العالم ، واستنـــزاف خيراته ، وأن مراكز القرار في الغرب ، وقوى الجشع والاستغلال ، مصممة على تركيع العالم الإسلاميّ ..**

وهذه الأمثلة تدل على أن المسلمين لن يقرَّ لهم قرار ، ولن تهدأ نفوسهم إلا إذا أخرجوا الطامعين الناهبين المستكبرين من بلادهم ، وثقافتهم ، وثرواتهم ، وإرادتهم .

وقد يتمكن سياسيو الغرب مدعومين بقوى مالية عالمية وأخرى محلية من القضاء على صورة من صور المقاومة .. وهم لا شـــك يدركون أنهم انتصروا في جولة ، وأن هذه الأمة قادرة على توليد الفكر المقاوم ، والجهد المحرر ، والإرادة الماضية .. وأنه من الخير للغرب وللمسلمين ولسائر البشر أن يتوقف الغرب عن اختراع وسائل القضاء على المسلمين الأحرار كلما نادوا بالتحرر من الاستعمار الغربي ، فإذا فعل قادة الغرب ذلك أحسنوا إلى أنفسهم أولاً ، وأحسنوا إلى البشرية ثانياً ، وكانوا منسجمين مع ما يرفعونه من شعارات .

وندعو المسلمين إلى التمسك بالحق ، والصبر على المحن ، وأن يوقنوا بقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ... **إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ** ... ﴾ [النساء: ١٠٤]

من هو القائد ؟

نتوجّه بهذه الكلمات إلى الإخوة والأخوات الذين يحملون مسؤوليّة في العمل الجماعي .. بصرف النظر عن مسميّاته وأشكال تنظيمه .. والمعاني الواردة فيها مطلوبة من كلّ فرد يتقلّد إمرة جماعة ، أو جمعية ، أو يشرف على جزء منها . وقد اخترنا مصطلح (القائد) رغبة في إبراز أهمّ وأجمع صفة في الأمير –حتى وإن كان أمير السفر– ألا وهي قيادة المجموعة إلى الأهداف المنشودة ..

فمن هو القائد ؟

١- **هو الذي** يشعر من أعماق قلبه أنه مكلف بأن يكون عقل الجماعة المفكر وروحها المحرك ؛ فتراه يبذل أقصى ما عنده من أجل امتلاك رؤية صحيحة للواقع ، تساعده على تفكير سديد ، ويعمل دون كلل أو ملل على دفع الجماعة إلى الإنجاز الملتزم بأهداف ومخطط .

ولا يتمكن قائد من تحقيق ذلك إلا إذا وفر أسباب الفهم المتجدد ، وشروط التفكير الحي ، والقدرة على التخطيط . وهذا يفرض عليه توفير الوقت اللازم والجوّ الملائم ؛ فهو ينأى بنفسه عن الأعمال الجزئية التي تأكل الأوقات وتلتهم الطاقات ، وتقذف في ساحة الاهتمام واجبات المكان وهمومه ؛ فتصرف التفكير عن الواجبات الأهم ، وتبتعد بالجهود عن الأعمال الجليلة ، وتفرغ القائد من حقائق القيادة من غير أن يشعر .

٢- **وهو الذي** :

- يملك رغبة وإرادة تدفعانه إلى النهوض بمقتضيات القيادة .
- ويكون قادراً على توزيع المسؤوليات على العاملين معه .
- ويحرك حب العمل في قلوب أعضاء الجماعة ، ويحملهم على الثبات أمام العقبات والتحديات .

٣- **وهو الذي** يرى أن مهمته ليست محصورة في إصدار الأوامر ، بل تشمل :

- تأمين أسباب ووسائل نجاح العمل .
- وحسن اختيار المنفذين وتدريبهم والإشراف عليهم ومحاسبتهم .

٤- **وهو الذي** :

- يحظى بمحبة إخوانه واحترامهم بخصاله الشخصية قبل مكانته التنظيمية .
- ويحب جماعته ويخدمهم ويغار عليهم ، ويشـــعر بشـــعور كل فرد منهم .

٥- **وهو الذي** لا يرى القيادة عبارة عن (قلب حافظ ولسان لافظ) أو (شجاعة وتضحيات) تجمع حوله الناس فحسب ، لأن القائد في نظره هو الذي يملك -بالإضافة إلى قوة التأثير وجمع الناس- شروطاً أخرى أهمها :

- المعرفة بمواهب جماعته .
- والقدرة على حسن الاستفادة من الإمكانات .

• والاستعداد للعمل مع مساعديه (عمل الفريق) فلا ينفرد برأيه دون أصحاب الشورى ، ولا يتجاوز إخوانه المنفذين .

٦- **وهو الذي** يُنـــزل أعضاء الجماعة منازلهم ، ويراعي أيام قوتهم وأوقات ضعفهم ، لأنه يعلم أنه يتعامل مع بشر ؛ فلا يراهم آلة صماء ، ولا يعتبرهم ملائكة ، وهذا يجعله مهتماً بالتغلب على غريزتي (الكسل) و (الخوف) ويربيهم على :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثـــاني

٧- **وهو الذي** :

• يبث روح الانضباط عن رغبة لا عن رهبة .

• ويزرع في القلوب الاهتمام بعظائم الأمور .

• ويحافظ على وحدة الجماعة وتماسكها .

٨- **وهو الذي** : يصر على صنع الواقع الأفضل باستمرار ، وهذا يلزمه بأن يكون مبدعاً ، وهذا لا يتم إلا بالصقل المستمر للمواهب .

٩- **وهو الذي** يتمتع :

• بيقظة تريه الأخطاء وطرق علاجها ، والصواب وســـبل الاســـتفادة منه .

• وذكاء يهبه قدرة على تحديد العمل المطلوب إنجازه .

• ودقة تضع الأمور في نصابها .

• وتجرد ينصف في الحكم على الأعمال والأشخاص .

• وشجاعة تمنحه الثبات في الملمات .

• وصراحة تفجر طاقات الإبداع والنصيحة لدى الجماعة .

• ودماثة خلق تجمع القلوب وتدفع الجهود إلى الإنتاج .

هذه أبرز المعاني التي يجب أن تتوفّر في القائد .. ولا شك في أنّ النّاس يتفاوتون في درجات ترجمة المعاني إلى سلوك وأخلاق .. والمهم هو أن يحرص المرء على مجاهدة نفسه لكي تتوفر فيها أرقى الصفات الحميدة .. وهذا سهل ميسور لمن عرف المطلوب وسلك السبيل الموصل إليه بهمة ونشاط .. تحقيقاً لقول المصطفى ﷺ « **إِنَّمَا العِلْمُ بِالْتَعَلُّم ، وَ إِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَحَلُّم ، وَمَنْ يَتَحَرَّ**

الْخَيْرَ يــُعْطَهْ ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَ يُوَقَّهْ » صحيح الجامع الصغير ، الحديث رقم ٢٣٢٤ .

ومَنْ فقد هذه المعاني ، أو جزءاً منها ، تحوّل جزئيّاً أو كليّاً إلى (**مدير**) يعتمد في قيادة الجماعة على القرارات ، فإذا أخفق بسبب عجزه وتدنّي همّته واهتمامه .. ألقى باللائمة على من معه وعلى الظروف .. وبرّأ نفسه من المسؤوليّة .

إنّنا نتطلّع إلى إحياء معاني القيادة لدى العاملين كافّة ، ونأمل ممّن يحملون مسؤوليّة مباشرة أن يمارسوا (النّقد الذاتي) وأن يتّخذوا من (التوبة) سبيلاً إلى التخلّص من السلبيّات ، وإلى توفير الإيجابيّات في قلوبهم وحياتهم وقيادتهم لإخوانهم .

أزمات المسلمين... ما أسبابها ؟

يذهب رواد الحركة الإسلامية المعاصرة إلى حصر أسباب الأزمات التي تعصف بالمسلمين في « الجهل » الذي زحف على الأمة رويداً رويداً .. فأفقدها الوعي ، وبث في العقول والسلوك وشعب الحياة تخلفاً رهيباً كئيباً عبر عن وجوده الشامل بظاهرة (الغثائية) التي أذنت بتداعي الأمم من كل أفق على (الأمة القصعة) !! .. فكانت ظاهرة (الاستعمار الأوروبي) الزاحف بجيوشه وثقافته .. فزاد الطين بلة !!

ونتيجة لهذه الرؤية رفعت الجماعات الإسلامية شعارات تدعو إلى :

١- **إنهاض المسلمين** .. بتجديد معاني الإسلام على المستوى الفردي والجماعي ، بما في ذلك مؤسسة الدولة .

٢- **التصدي للمحتلين** .. الطامعين بالثروات .. المصممين على إحداث خلل فكري وسلوكي وتشريعي ؛ يصيب المسلمين بالارتباك الشديد ، ويمنعهم من العودة إلى الذات .

وظهرت الدراسات والبحوث الرامية إلى تحليل الأزمة وأسبابها . فوجد الباحثون أنها ترجع إلى « الشهوات » و « الشبهات » :

أولاً : **الشهوات** : بدأ الانحراف بالسلوك نتيجة لهجوم حب الدنيا وبسط سيطرته على القلوب شيئاً فشيئاً .. وكان الانحراف في بدايته صغيراً لم يلتفت إلى تسلله إلا العالمون . روى البخاري أن أنس بن مالك قال لجيل التابعين : « **إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعْرِ ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ** » أي : المهلكات . وبمرور الأيام اتسعت دائرة الانحراف وبرزت ظاهرة التقصير في الواجبات وارتكاب المحرمات .. فثار جدل عريض حول هل يدخل العمل في مسمى الإيمان أم لا ؟ وأسفر الجدل عن ولادة (الفكر التبريري) والذي تجلى في فكرة الإرجاء القاضية بفصل العمل عن مسمى الإيمان ، فكان هذا الفكر سلاحاً يسوغ به المنحرفون فسادهم . وتعددت الردود على الفكر التبريري ، ويهمنا هنا أن نشير إلى ردين :

الأول : شاذ مرفوض .. يقول الدكتور عبد الله دراز رحمه الله : (والمعتزلة ، وسلفهم الخوارج ، أخذوا آيات الوعيد عامة ، فسووا بين معصية الشرك وما دونها . قال البخاري : وكان ابن عمر يرى أن الخوارج شرار خلق الله ، ويقول : إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين) .

الثاني : رد أهل السنة والجماعة الذي يعبر عنه قول الحسن البصري رحمه الله : (إن قوماً ألهتهم أمانيٌّ المغفرة ، ورجاء الرحمة ، حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة . يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله . وكذب ؛ لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة . يوشك من دخل المفازة من غير زاد ولا ماء أن يهلك) .

من هذه الإشارات نلمس كيف سببت الشهوات أزمة فكرية وسلوكية كانت من أقوى عوامل ضعف الذات ، وما زالت تفتك بالمسلمين إلى يومنا هذا . ونسجل هنا أن الحركة الإسلامية المعاصرة قد انتصرت لخيار السلف الصالح .. القاضي بربط العلم بالعمل .. وأنها تمكنت من تحريك الهمم باتجاه صبغ الحياة الفردية والأسرية والجماعية بما أوحى به الله عزَّ وجلَّ .. وما يزال أمامها الكثير الكثير مما ينبغي صنعه في هذا المجال .

ثانياً : **الشبهات** : وأهم أسبابها الفتنة السياسية والفتنة الثقافية .

١- **الفتنة السياسية** : ونشير هنا إلى الفتنة التي انفجرت بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ،

وظهور الفكر الخارجي والفكر الشيعي .. وما أحدثاه من أزمات . ونُذكر بفتنة (الملك العضوض) وما أفرزته من طامات مهلكات في الفكر والسلوك وشعب الحياة المختلفة .. على مدى قرون !!.

وفي العصر الحديث برزت ظاهرة (الحكم الجبري) في معظم دول التجزئة .. فنتج عنها أزمات بسبب سلوكيات الحكام القائمة على الظلم والاستبداد ، وبما تبنوه من أفكار عملوا على فرضها بالقوة في حياة المسلمين .. وقد فرضت ظاهرة الحكم الجبري على الأمة مواقف فكرية وعملية ، وخاصة داخل الحركة الإسلامية ، وفي صفوف القوى المؤثرة . ولا ريب في أن الحكام المستبدين يحملون المسؤولية الكبرى عن حالات الصراع ، وإراقة الدماء ، وتهديم البلاد ، ولا يعفى أصحاب ردود الفعل الموتورة من المسؤولية .

٢- **الفتنة الثقافية** : ونعني بالثقافة : المعارف الإنسانية لأمة من الأمم (العقيدة ، الأخلاق ، التشريعات ..) التي تميزها عن غيرها . وتختلف عن (العلم) في كون العلم يهتم بالجوانب الخارجية للكائن البشري .

بعد هذا التقديم نقول : لقد احتكت أمتنا في مراحل ضعفها بثقافات فتنت العقول ، وأحدثت شروخاً في التصورات والقيم ، وقادت إلى مواجهات امتزجت في كثير من الأحايين برائحة الدماء !!. ونشير في هذا المقام إلى فتنة الفلسفة الإغريقية وآثارها في الفكر ، وخاصة الجانب العقدي ، وما أحدثته من جدل عقيم واضطهادات رهيبة . ونقف قليلاً عند فتنة الثقافة الغربية التي نعايشها . وغني عن البيان أن الحضارة الغربية قد أحدثت زلزالاً ثقافياً في المسلمين ، وأنها بهرت بتجلياتها المادية والفكرية عامة أبناء أمتنا الذين يفتقرون إلى القدرة على التمييز وتحديد الموقف الكريم .

ونذكر في كلمات بعضاً من تجليات الحضارة الغربية المسببة لأزمات حادة عند المسلمين :

١- **التجليات المادية** .. حُسم الأمر بالأخذ بها ورفض التفسيرات الثقافية التي تلحق بالحقيقة العلمية .

٢- **تجليات النظم والمؤسسات** .. ما يزال الأخذ والرد حولها قائماً .. وبما أن المسلمين قد توقفوا منذ قرون عن الاجتهاد في مجال النظم وغيرها ، فإنهم لم يجدوا بداً من الاقتباس من النظم الغربية .. مثل النظام السياسي .

٣- **تجليات المعارف الإنسانية** .. كعلم النفس والاجتماع .. فهذه ما تزال كفة الرفض عند الإسلاميين هي الغالبة .

هذه التجليات وغيرها تحرج المسلمين في ضعفهم الحالي ، وتفرض عليهم تحديد مواقف منها ، والخلاف الذي تحدثه في صفوف الحركة الإسلامية أمارة على الأزمات المستحكمة بسبب الاحتكاك بثقافة الغرب .

وبعد : فإن حركة التجديد الإسلامي مدعوة إلى بذل الجهد البصير النامي باستمرار ، من أجل تصفية وتنقية مصادر المعرفة الإسلامية ، وهي في أمس الحاجة إلى فهم عميق لأسباب الأزمات وتجلياتها ، حتى تتمكن من تحديد موقف رباني بعيداً عن الغلو وعن الانفلات ، وبهذا يتحقق لهم تجديد صحيح كريم .

من لم يكن عبداً للّه كان عبداً لسواه

اضطربت الحضارات والنظم الغابرة والمعاصرة وكذلك الأديان المحرفة ، في النظر إلى الإنسان وإلى غاية وجوده .

فمن قائلين بتقديس الإنسان وإنه يحق له أن يفعل ما يشاء .. إلى آخرين يعتقدون بحقارته وإنه وارث وحامل للخطيئة .

ومن داعين إلى ضرورة ترك الفرد ينظم حياته كما يريد ، ويسعى في الأرض بما ينفعه ، وإن أدى ذلك إلى استغلال أخيه الإنسان وظلمه ، إلى آخرين يسلبون الفرد حقوقه ويعتبرونه قطعة في آلة صمّاء .. إلخ .

ويقف الإسلام وحده في خضم الاضطراب في شأن الإنسان ليعيد الحق إلى نصابه ، وذلك بإعطاء صورة دقيقة حقيقية عن الإنسان ؛ مبرأة من الهوى والجهل والمحاباة .

وبالرجوع إلى نصوص الوحي نجد أنها تحدثنا عن :

- أصل الإنسان

- طبيعة الإنسان
- قيمة الإنسان
- غاية وجود الإنسان

والكلام بتفصيل عن النقاط المذكورة آنفاً ليس من أغراضنا الآن ، ولكننا نشعر بضرورة التذكير بخطوط عامة تساعدنا في الحديث عن نظرة العقيدة الإسلاميّة إلى الإنسان :

١- أصل الإنسان

الذي نود أن نؤكّد عليه في هذه النقطة هو إيماننا أن الله تعالى خلق آدم من (تراب) كما ذكرت نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة .. و لم يتطور عن مخلوق آخر .

٢- طبيعة الإنسان

والإنسان في الإسلام مخلوق في فطرته استعداد وقدرة على اختيار وسلوك طريق الفضيلة أو طريق الرذيلة ، قال الله تعالى :

﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

ومن هنا أرسل الله إلى الناس رسلاً مبشرين ومنذرين ، فأرشدوا الناس إلى الحق في كل شيء .. وما على الإنسان إلاّ أن يحدد موقفه من الحق الأبلج .. يقول الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل: ٥-١٠] .

وحين يبتعد الإنسان عن طريق الحق .. كأن يشرك بالله عزَّ وجلَّ .. فإنه يكون مرتكباً لجرم كبير ، ومن جملة آثاره السيئة (العبث بقيمة الإنسان وتشويه فطرته) .

وبناء على هذا التصور الذي يؤكد أن الإنسان مختار في مجال التكاليف ، ثم هو محاسب على اختياره .. كان الإنسان معفياً من العقوبة إذا وقع في مخالفات شرعية بسبب فقدان الاستطاعة على التزام الشرع ، يقول الله تعالى : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ... ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . ويقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا** ... ﴾ [التغابن: ١٦] .

ونصوص إباحة أطعمة محرمة عند الضرورة مشهورة معلومة .

٣- قيمة الإنسان

والإنسان مخلوق كريم يمتاز عن غيره من خلق الله تعالى بميزات كثيرة .. يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

ومن جملة الإكرام تسخير ما في السموات وما في الأرض للإنسان .. وما عليه إلاّ أن يكتشف « السنن » التي تحكم الكون وأن يتفاعل معها فيما يفيده .. يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ... ﴾ [لقمان: ٢٠] .

٤- غاية وجود الإنسان

يبين خالق الإنسان غاية وجود هذا المخلوق بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فعبادة الإنسان لخالقه وربه عزَّ وجلَّ هي غاية الوجود الإنساني ، وسنرى أنها تشمل جميع نشاطات الإنسان وأعماله الظاهرة والباطنة ، وبميزان العبودية لله تعالى تُقَوَّم أعمال الإنسان وفق قاعدة : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

■ **تنبيـــه**

وهنا لا بد من بيان حقيقة دقيقة أورث الجهل بها مشكلات تربوية خطيرة .. وهذه الحقيقة هي أن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه كيان موحّد غير قابل للتجزئة ، وكان الخطاب موجهاً إليه على هذا الأساس .. صحيح أنّ علماءنا القدامى والمحدثين تكلّموا عن الإنسان المكون من روح وجسد وأنّ الإسلام اعتنى بروحه كما اعتنى بجسده .. ولكن هذا كان من باب الرغبة في إثبات أنّ على المسلم أن يهتم بشؤون حياته كما يهتم بالعبادة التي تزكّي نفسه ، وأنّ العناية بشؤون حياته عبادة أيضا .

ونحن لا نميل إلى الحديث المجزّأ عن الإنسان ، لأن التجزئة متوهمة وليست واقعية ، يضاف إلى ذلك أن مصطلح (الروح) لا يتفق مع مدلول هذه الكلمة حين نزول الوحي . ولنضرب أمثلة من كتاب الله تعالى تؤكد ما ذكرنا ..

يقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ... ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

ولنتأمل كيف أنكر الله عزَّ وجلَّ موقف اليهود من الوحي حين عملوا ببعض الكتاب وأعرضوا عن بعض . يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ... **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٥] .

لذلك نحذر من خطورة تجزئة التكاليف المخاطب بها الإنسان .. وعلينا أن نبلغه إياها كما أنزلها الله عزَّ وجلَّ وأن نخاطبه بها كما خاطبه بها الوحي .

- **قاعدة الإيمان**

تقوم نظرية العبودية في الإسلام على تصوّر واقعي للإنسان .. وتقرر أنه « **من لم يكن عبداً لله كان عبداً لسواه** » ذلك أن الإنسان لا بد وأن يختار نظاماً يضبط به علاقته بغيره كما يضبط به أموره الخاصة ومنها أخلاقه ، وأنه لا فكاك له من هذا الخيار ، وهنا تبرز المشكلة :

- إما أن ينصِّب الإنسان نفسه في مقام من يرسم له التصورات ، ويضع القوانين لنفسه .
- وإما أن يعطي هذا الحق لحاكم أو زعيم ديني أو نحو ذلك ..

وفي الحالتين يقع الإنسان في مشكلات الجهل ، والنفعية ، والهوى ، التي تسيطر على جميع مقررات الإنسان في شأن الإنسان .

- وإما أن يرد أموره كلها إلى خالقه الذي شرع له ما ينفعه لعلمه بما خلق : ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤] .

فإن رد أموره إلى الله تعالى كان عبداً له ، وإن ردها إلى غير الله كان عبداً لسواه .

وانطلاقاً من قاعدة « اضطرار الإنسان إلى من يرد إليه أموره ليضع له تشريعاً مناسباً لجميع ما يتعلق به » أرسل الله عزَّ وجلَّ رسله إلى الناس يدعونهم إلى عبادة الله عزَّ وجلَّ دون سواه :

- يقول الله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

▪ ويقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ... ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقاعدة التوحيد في الإسلام توضح هذا المعنى وهي شهادة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

- فشهادة « لا إله إلاّ الله » توحيد العبادة
- وشهادة « محمد رسول الله » توحيد الشريعة .

فلا يعبد المسلم غير الله ، ولا يتحقق ذلك إلاّ باتباع هدي رسول الله ﷺ دون سواه .

فالعقيدة الإسلاميّة ، بهذا الشمول ، تلامس واقع حياة الإنسان وتعمل على :

١- **تحرير الإنسان من عبوديته لشهواته ونزواته :**

▪ يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ... ﴾ [الجاثية: ٢٣]

▪ ويقول الرسول الكريم ﷺ : « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِه** » حسن صحيح .

٢- **تحرير الإنسان من تأليه البشر ، والخضوع لهم خضوع انقياد واستسلام :**

يقول الله عزَّ وجلَّ حكاية عن أهل الكتاب : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّه** ... ﴾ [التوبة: ٣١] .

فهذه الآية الكريمة وأمثالها تبين أنّه لا يصح لإنسان مهما علا علماً وعملاً أن يضع للناس تشريعات يستحسنها ، والتشريع لواقع الحياة عبادة ، كما لا يجوز لمسلم أن يتبع إنساناً مهما كانت مكانته بغير هدى من الله ، وإلاّ دخل في معنى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّه ... ﴾ [الشورى: ٢١] .

وهنا قد يقول قائل : ولكن الإنسان مضطر إلى إقامة الروابط مع أضرابه من بني البشر ، وهذه الروابط تفرض أن يكون فيهم تابع ومتبوع ، وأن على التابع أن يطيع المتبوع وإلا فسدت الأمور .. فما طبيعة العلاقة بين الفريقين في مجتمع مسلم ؟

والجواب في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ، وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩] .

فطاعة أولي الأمر واجبة ما التزم هؤلاء حدود ما أنزل الله تعالى وما بينه رسول الله ﷺ.

٣- تحرير الإنسان من الخرافة والأساطير التي تُسيطر على كثير من الناس :

إنّ الأساطير تسلب الإنسان القدرة على المحاكمة والتوصل إلى الحق، والواقعون في شباك الأساطير والأوهام تجدهم يتوجهون بالعبادة أو طلب العون إلى الحجر وإلى القبور ونحو ذلك ..

▪ فمنهم من بفعل ما يفعله معتقداً أن في ذلك عزاً له ورفعاً لمكانته ، كما قال الله تعالى : **﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾** [مريم: ٨١] .

▪ ومنهم من يرى أن الموتى أو الأصنام أو غير ذلك .. قادرون على نصره ، كما قال تعالى في أمثالهم : **﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴾** [يس: ٧٤] .

▪ ومنهم من يعتقد أن هذه المخلوقات لا تضر ولا تنفع بذاتها ، ولكنْ لها وجاهة عند الله ، وفي أمثالهم ورد قوله عزَّ وجلَّ : **﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾** [يونس: ١٨] .

٤- تحرير الإنسان من قيود التعلق بالدنيا .. ومطاردة الخوف في قلبه من ذهابها بسبب تمسكه بالحق :

يقول الله تعالى : **﴿ ... فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ... ﴾** [المائدة: ٤٤] .

ويقول عزَّ وجلَّ : **﴿ ... فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾** [التوبة: ١٣] .

مما سبق ذكره في شأن العقيدة وعملها في حياة الإنسان نرى بوضوح أنّ الإسلام لا يعترف بالنظرية العقدية المجردة .. فهو في كل حركة من حركات الإنسان يربط الحركة بالعقيدة .. وبهذا تتكون العقيدة من خلال التفاعل اليومي في المجتمع حيث يكتشف الإنسان نقاط ضعفه .. فإن كان صادق العهد مع الله تاب وأصلح فكان من المؤمنين الصادقين .. وإلاّ فلا .

من أسباب انحراف العقيدة :

خلال ما يقرب من أربعة عشر قرناً وقع في حياة كثير من المسلمين انحرافات في العقيدة أدت إلى العبث بأصول العقيدة مما أدى إلى تشوه صورتها في واقع المسلمين .. وأهم الأسباب التي أدت إلى الانحرافات هي :

١- **الحدث السياسي** : فعلى سبيل المثال وقع في حياة الجيل الأول ، وبعد وفاة الرسول ﷺ ، أحداث سياسية تركت آثاراً بعيدة الغور في فكر وحياة فريق من المسلمين منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا .. وكثيراً ما ألقت تلك الانحرافات بأصحابها خارج حدود الإسلام .

والسبب في ذلك هو عدم الرجوع إلى نصوص الوحي وفهمها كما يريد الله عزَّ وجلَّ .. وتطبيقها على الواقع .. والاعتماد على الروايات الواهية والعصبية المقيتة في تحديد مدلول الوحي .

٢- التهاون في رواية الحديث النبوي الشريف : وذلك إما بسبب جهل أو لتأييد رأي .. وقد وقع في التهاون أعلام في تاريخ المسلمين وترك صنيعهم أخاديد في فكر الناس وسلوكهم .. وما تزال هذه الظاهرة متفشية بين كثير من طلبة العلم الشرعي فضلاً عن سواهم .

٣- الاستغراق في مواجهة الانحراف : بحيث يؤدي هذا الاستغراق إلى انحراف آخر ، ونضرب على ذلك مثلا : (التصَوُّف) فمما لا شك فيه أن هذا الاتجاه كان في بدايته يرمي إلى محاربة الإخلاد إلى الأرض والاغترار بزينة الحياة الدنيا ، عندما بدأ هذا الداء يدب في المسلمين ، ثم تطور الأمر شيئاً فشيئاً إلى الخروج عن حدود الشرع ، وهذا ترك أثراً بالغ الخطورة في فكر المسلمين وحياتهم .

٤- الاغترار بالعلم : ومثاله (الفلسفة اليونانية) فحين وقف فريق من المسلمين على تلك الفلسفة رأوا فيها شيئاً من الحق ، فدفعهم ذلك إلى تقديسها .. ومحاولة التوفيق بينها وبين نصوص الوحي .. هذا التقديس دفعهم إلى ليّ أعناق النصوص بالتأويل لئلا يتعارض مع ما تدل عليه مقررات الفلسفة .. وقد وقع في السنة أذى كبير حين انتشر زعم علماء الكلام أن أحاديث الآحاد -وهي معظم الأحاديث الصحيحة- حجة في الأحكام دون العقائد ، لأنها ثبتت بطريق ظني الثبوت !! وأصبح هذا الرأي مسلماً به لدى كثير من الفقهاء وعلماء الكلام .. فترك هذا أثراً غير جيد في عقيدة المسلمين ..

واليوم يتعرض المسلمون لفتنة تشبه الفتنة السابقة التي أشرنا إليها ألا وهي فتنة «العلم» ويلاحظ على عدد من المخلصين أنهم بدافع الدفاع عن الإسلام قد عبثوا بنصوص الإسلام من قرآن وسنة من أجل التوفيق بينها وبين « فرضيات العلم » وهذا مسلك جدّ خطير يؤدي إلى نسبة الظنون إلى كتاب الله تعالى .

وبعـــد ،،

فإن الحديث عن كل فكرة وردت في ثنايا كلامنا السابق يحتاج إلى صفحات وصفحات .. وحسبنا أن ننبه إلى المعنى الذي جعلناه عنواناً لهذا البحث **(من لم يكن عبداً لله كان عبداً لسواه)** ليدفع هذا كل مسلم غيور إلى العمل الجادّ البصير من أجل العمل بالإسلام كما أنزله الله تعالى ظاهراً وباطنا .. وهذا لا يكون إلا بالعلم الذي طلبه فريضة على كل مسلم .

الفقه الإسلامي والتطورات المعاصرة

يشكك كثير من الغربيين المهتمين بالشأن الإسلامي في قدرة (الفقه الإسلامي) على التعاطي مع التطورات المعاصرة ، ويرون أن عصر « الدين » قد ولّى ، وأنه من الخير للمسلمين أن يتخلوا عن « الشريعة » وأن يأخذوا بما توصل إليه فقهاء الحياة الغربيين .

ونحن المسلمين نؤمن أن الإسلام يزوّدنا بالرأي السديد ، ويحدد لنا الطريقة الأمثل في التعامل مع الإنسان والتطورات التي يفرزها العقل البشري ، فالتطورات المعاصرة كالسابقة في عصور خلت ، فيها صواب وخطأ ، والإسلام يرحب بالنافع ويرفض كل ضار ، فالمهم جوهر القضايا وليس العصر الذي تظهر فيه .

وسأتناول قضية الفقه الإسلامي والتطورات المعاصرة على النحو الآتي :

أولاً : إن الفكر الإسلامي المعاصر يتحرك في هذه المرحلة التاريخية ضمن دائرتين بينهما تقاطع وتداخل :

الأولى : دائرة الحوار مع الذات : لتحقيق هدفين :

١- التجديد في المضمون المعرفي .

٢- التغيير في الواقع .

وهذا يعني أن المسلمين يعترفون أن القرون القريبة منهم كانت مرحلة تراكم عوامل التخلف العقدي ، والشعائري ، والأخلاقي ، والحياتي ؛ السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد .. ، وأن عملية التجديد ينبغي أن تعالج الواقع لتصحيحه وتثبيت العمل بما شرع الله تعالى ، وعملية التجديد والتغيير تطرح سؤالين كبيرين :

١- **كيف نفهم الإسلام ؟**

٢- **كيف ننـــزل أحكامه على الواقع ؟**

وليس مستغرباً -في ظروف هذه المرحلة- أن يكون هناك اختلاف في تحديد الجواب على هذين السؤالين ، لأن عملية التفكير تقوم على ثلاثة أسس :

١- **المعلومات السابقة .**

٢- **الواقع .**

٣- **القدرة على الربط بين المعلومات السابقة والواقع .**

ولا يخفى أن أي اختلاف في كمية المعلومات ، أو نوعيتها ، أو القدرة على الربط بين أجزائها ، يؤثر على الحكم النهائي ، وكذلك الأمر إذا اختلف أهل النظر في توصيف الواقع ، أو تباينت قدراتهم على الربط بين المعلومات السابقة والواقع .

الثانية : دائرة الحوار مع الفكرة الغربية : لأن الغرب -بامتداده الجغرافي وتعدد مدارسه الفكرية- هو الذي يصنع اليوم الأفكار ، ويرتب النظم ، ويضع الشرائع ، ويسوِّقها في أرجاء المعمورة ؛ فالفكرة الغربية تطرح تصورها عن الكون والحياة ، وعن الإنسان وغاية وجوده ، وكيف يحقق هذه الغاية ، من خلال القدرات الهائلة التي تملكها مؤسسات القرار وتسخرها لنشر إفرازات المجتمعات الغربية .

وهناك موضوع مهم يؤثر على تحاور المسلمين مع الفكرة الغربية ، وأعني به : (الاستعمار) القديم والجديد ، فالغرب بالنسبة للمسلمين جاء بلادهم وهم في حالة ضعف وتخلف فسيطر عسكرياً على معظمها ، وأقام فيها أوضاعاً تتناقض مع الفكرة الإسلامية ، وهو ما يزال -حتى بعد

خروجه العسكري- يقوم بدور الحارس على استمرار أسباب الضعف والتخلف والتبعية .

إن إفرازات الفكرة الغربية تطرح على المسلمين أسئلة ، مثل :

- كيف نفهم الغرب ؟
- ما يجوز أن نأخذ منه وما لا يجوز ؟
- كيف نحصن أنفسنا من التأثير السلبي الثقافي للفكرة الغربية ؟ ... الخ .

والجواب على هذه الأسئلة وغيرها تؤثر فيه عوامل كثيرة ، وقد أشرت عند الحديث عن (عملية التفكير) إلى أهمها .

ثانياً : وتأسيساً على ما سبق أود أن أشير إلى خطورة موضوع (المصطلحات) عند دراسة العالم الإسلامي اليوم ، أو الكلام في قضايا الفقه الإسلامي ، فقد جرت العادة في دوائر الغرب ، عندما يتحدثون عن الحركة العلمية والفكرية في العالم الإسلامي ، أن يقسموا الناس إلى ثلاثة أقسام :

١- **التقليديون** : ويعنون بهم أولئك الذين يرفضون إعادة النظر في النتائج التي توصل إليها العلماء السابقون ، ويرفضون كل ما يغايرها من عطاء العصر . وهذا الاصطلاح يحمل في طياته الغمز بهذا التيار من المسلمين ، الذي يعنون به : السلفيين والمقلدة .

والحق أن هذا التيار يعترف بضرورة الاجتهاد إذا توفر في الأمة المجتهدون ، ويعترف بأن القرآن والسنة هما المرجع في التشريع ، وأن كل واحد من علماء الأمة يؤخذ من كلامه ويرد . صحيح أن قسماً من هذا التيار غير مقتنع بالأهلية العلمية لعدد من المتصدين للفتوى في القضايا المعاصرة ، ومع ذلك فإن الذين يشكلون جهاز التفكير في هذا التيار يتحاورون في منهج الفهم للإسلام وللواقع ، ويستنبطون آراء تأخذ بها معظم فصائل التجديد في الحركة الإسلامية المعاصرة .

بل أجزم بأن تيار (المنهج السلفي) الذي يُدخل تغير الزمان أو المكان كعامل يؤثر في تغيُّر الفتوى ، ينمو من حيث العدد والنوعية ، وهؤلاء هم الذين يحملون أهلية التجديد المحافظ على منهج الفهم الإسلامي من الناحية الفقهية .

ثم إن تيار السلفيين والمقلدة يمارس الاجتهاد ، لأنه ضرورة ، ويعمل على ترسيخ فكرة :

(**الاجتهاد الجماعي**) . وإن كان يؤخذ على فريق من السلفيين أو المقلدة تمسكهم بالتراث الإسلامي ورفضهم الاجتهاد المعاصر لاعتبارات تتعلق بمن يتصدى لعملية الاجتهاد الفقهي كما أسلفت ، وهذا يعني أن التيار ليس حالة واحدة ، ففي داخله يلاحظ اختلاف التنوع بوضوح .

٢- **الإصلاحيون** : وهم الذين يدعون إلى إصلاح منهج فهم الإسلام ، وإلى الأخذ بالصالح من عطاء العصر ، وهؤلاء ليسوا حالة واحدة . ففيهم من يقترب من السلفيين في المنهج والنتائج ، ومنهم من يبتعد منهجاً ونتائجاً . ومنهم فريق يأخذ من هنا وهناك ..

٣- **العلمانيون أو تيار الحداثة** : ويعنون بهم أولئك الذين لا يرون الدين مصدر تشريع واجب الاتباع ، وأنه من الخير فصله عن الحياة .

فهؤلاء سواء كانت أصولهم الفكرية ليبرالية أو ماركسية يقفون ابتداء على أرض غير إسلامية ، وبالتالي فإن ما يتوصلون إليه لا يمثل تطوراً أو تجديداً في الفقه الإسلامي ، بل هم نسخة من الفكرة الغربية تحمل شعارات وأسماء إسلامية .

إن هذا التقسيم -أو أي تقسيم آخر قريب منه- يحدث إرباكاً لدى أولئك الذين حظهم من المعرفة قليل ، لأنهم ينظرون إلى هؤلاء جميعاً على أنهم إفراز الفكرة الإسلامية ، وهذا غير صحيح!

ثالثاً : وبناء على ما ذكرته آنفاً أقوال :

إن الغرب يفرض على المسلمين تحديات ويثير في حياتهم أسئلة كثيرة ، بما ينتجه ويُسوِّقه من أفكار وأنظمة وعلاقات وسلوكيات .. الخ .

فإذا قال مسلم (هذا مرفوض) كان في نظر الذين يتبنون التصدي ليقظة المسلمين واستقلاليتهم : (**تقليدياً** ، **متعصباً** ، **متشدداً**) إلى آخر مصطلحات المحاصرة والتشويه والتنفير .

ومَنْ قَبِلَ كان : (**متنوراً** ، **معاصراً** ، **متسامحاً** ..) إلى آخر مصطلحات الثناء والتشجيع على السير في هذا الطريق !!

ومن قال : (**نرفض هذا ونقبل ذاك**) كان (**معتدلاً** ، **ليناً** ، ..) إلى آخر كلمات المديح الحذر !!

وهنا أود أن أقول :

إن مصلحة المسلمين ، ومصلحة الغرب ، ومصلحة بقية سكان المعمورة ، تكمن في أن يجدد المسلمون منهج فهم الإسلام ليفهموه كما هو في القرآن والسنة ، من غير استقباله بمفاهيم مغايرة عن الكون والحياة والإنسان ، عندئذ تكون النتائج التي يتوصل إليها المجتهدون فقهاً إسلامياً ..

أما إذا هجمت فكرة غريبة على عقول مجموعة من المسلمين فاستحسنوها ، لأنهم غير قادرين على كشف غربتها ، ثم جاء هؤلاء إلى نصوص الإسلام فأوّلوها لتنسجم مع ما رأوه صواباً .. فهذا لا يعبر عن الإسلام الموحى به من عند الله تعالى .

ولا يخفى على لبيب أن الفتن السياسية والثقافية (المعرفية) حين تعصف بأمة فإنها تبلبل المنظومة الفكرية لدى فريق ، وإذا بهم يضعون مقدمات تلزمهم بنتائج تفرض عليهم طريقة فهم للنصوص ، وأسلوباً في الجمع بين الأدلة التي تبحث موضوعاً واحداً . بل إن الفتن الثقافية تُحسِّن الفكرة القادمة من خارج الفكرة الإسلامية ، وتدفع المستحسن إلى تأويل النصوص حتى يستقيم – بزعم المتأولين– الفهم الصحيح للإسلام .

وهذا التصرف يتم تحت عناوين براقة ، ولنأخذ مثلاً (فتنة الفلسفة الإغريقية) فعندما استحسنها فريق من المسلمين ، فرضوا قواعدها على المصادر الإسلامية (القرآن والسنة) فما وافقها من القرآن هللوا له ، وما خالفها عادوا عليه بالتأويل ، أما السنة فإن كانت متواترة قبلوها وعاملوها معاملة القرآن ، وإن كانت صحيحة وعارضت مقررات الفلسفة رفضوها بحجة أنها ظنية الثبوت ، وأنها ليست حجة في العقائد ، وإنما مجالها الأحكام ، وهذا كله تم تحت عنوان (العقليات) !!

وبما أن الغرب اليوم يقهر المسلمين ، ويؤزمهم فكرياً وسياسياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، .. إلخ ، فإنه يربك نمو القدرة الفقهية الأصيلة ، ويدفع كثيرين إلى الاهتمام بالمآسي التي يُواجَهون بها ، مثل (الحرب والسلم في ظل الاستعمار وفرض التبعية) وهذا يقودنا إلى الخاطرة الآتية :

رابعاً : إن العمل الفقهي ليس معزولاً عن واقع الأمة ، والمسلمون –على الرغم من العقبات

الداخلية والخارجية- يحاولون إدراك المتغيرات ، ومواجهة التحديات ، واستنباط الحلول المنبثقة من ثقافتهم الإسلامية .

وقد تصدت الحركة الإسلامية إلى إعادة النظر في عدد كبير من القضايا المعاصرة ، وحددت منها مواقف أصيلة تنبثق عنها تفريعات كثيرة ، وأضرب أمثلة من غير الدخول في التفاصيل :

١- **دور الرجل والمرأة في الحياة البشرية** : فقد قرر الفكر الإسلامي -من خلال نصوص القرآن والسنة- أن الرجل والمرأة نوعان لجنس واحد ، لهما خصائص مشتركة ، ومهمات متنوعة ، باعتبار أن (**النساء شقائق الرجال**) . وعلى هذا ينبغي أن تراعى دوائر الاختصاص بدقة بعيداً عن (الانبهار) بإفرازات الفكرة الغربية .

٢- **الحريات** : يصر الفكر الإسلامي على أن واقع المسلمين السياسي والاجتماعي والاقتصادي .. إلخ ، قد وقع فيه خلل كبير أثّر على الحريات وفرض الظلم ، والظلمُ ظلمات ، ولذلك رفعت حركة التجديد صوتها داعية إلى مقاومة (**الفراعنة**) عنوان الطغيان السياسي و(**القوارين**) عنوان الجشع المالي ، فالحركة الإسلامية تمثل (**المعارضة**) الرافضة للظلم والداعية إلى التحرر .

٣- **الحرب والسلم** : أكدت الحركة الإسلامية أن الأصل في العلاقات البشرية هو (السلم) ولكن واقع البشرية يدل على أن امتلاك القوة الرادعة يساهم في توفير الأمن والسلم معاً . وبما أن الإسلام دين الفطرة ، فإنه حرض المسلمين على مواجهة عدوان المعتدين ، وهنا شنت دوائر الظلم الداخلي والخارجي حملة شعواء تتهم المسلمين -وهم الجانب المستضعف وفي حالة دفاع- بالدموية لأنهم يربون أجيالهم على (الجهاد) وأخذوا يثيرون الزوابع حول الجهاد الدفاعي والجهاد الهجومي ، مع أن الإسلام واضح في هذه القضايا .

٤- **قضايا الطب وغيره من العلوم** : فقد حددت شخصيات علمية ومؤسسات فقهية ما يقبل منها وما لا يجوز الأخذ به .

وهكذا ، فإن الفقه الإسلامي قادر على التعامل مع المتغيرات البشرية ، وهذا الفقه يؤكد على شمولية قضايا الإنسان ، ولا يحصر مهمته في الأحكام العملية ، ويعتبر فقهاء الإسلام أن (العقيدة) هي الفقه الأكبر ، وقد شغلت مسائلها جُلَّ جهود علماء الإسلام ومفكريه في هذا

العصر ، وكان لجهودهم فوائد دعمت مناعة المسلمين ووضعت في أيديهم موازين يميزون بها بين الحق والباطل والصواب والخطأ .

خامساً – وأخيراً ... فإننا على يقين من قدرة الفقه الإسلامي على صياغة الحلول المناسبة لكل القضايا التي تمس الحياة البشرية ، وهو قادر على التعامل مع الواقع البشري في الحالة العادية ، وفي حالات الاضطراب ، ونأمل أن تسير حركة التجديد الإسلامي في الطريق الصحيح ، لأن في ذلك خيراً للبشرية جمعاء .

ونتمنى أن يلتفت أصحاب الفكر ومراكز الدراسات في الغرب إلى الفقه الإسلامي ، وأن يناقشوا بحيادية أخلاقية مقاصد الشريعة الإسلاميّة ، وآلية الفهم والاستنباط ، والنتائج التي توصل إليها المجتهدون المعاصرون الذين تفاعلوا مع الواقع .. فإنهم إن فعلوا ذلك ربما غيروا نظرهم إلى الإسلام العظيم الذي يحل الطيبات ويحرم الخبائث .

أزمة المرأة المسلمة ..
فرع من أزمة الأمة

ينطلق الفكر الإسلاميّ التجديدي المعاصر من قول رسول الله ﷺ : « **إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ** »[1] فهما نوعان لجنس واحد ، لهما خصائص مشتركة ومهمات مختلفة ، ويستدل المفكرون على هذه الحقائق بنصوص قرآنية ونبوية كثيرة ، نستأنس هنا بقول الله عزَّ وجلَّ في أوائل سورة الليل : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۞ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۞ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى ۞ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** ...﴾ [الليل: ١-٤] فكما أن الليل والنهار نوعان لجنس واحد هو (الزمن) ولكل واحد منهما مهمة يؤديها : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ**

(1) رواه أبو داود والترمذي وأحمد .

لآيَات لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [يونس :٦٧] . فكذلك (الذكر والأنثى) لكلٍّ منهما مهام مع كونهما من جنس واحد هو (الإنسان) : ﴿ **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** ﴾ .

وفي ضوء هذه الحقيقة البدهية فهم المفكرون الإسلاميّون نهيَ الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات أن يتمنى كل نوع مهمة ودور النوع الآخر : ﴿ **وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** ... ﴾ [النساء: ٣٢] . وكذلك نهيَ النبي ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء ، وتشبه النساء بالرجال .

وأبرز أهل الفكر من المسلمين أن ظروفاً استثنائية شاذة قد تدفع أحد شقيّ المجتمع -الرجل والمرأة- إلى القيام بمهام لا تنسجم مع طبيعته ، فإذا وقع ذلك كان لزاماً على النساء والرجال أن يعملوا على تصحيح الأوضاع وإعادة الأمور إلى نصابها ، ولنتأمل كيف يعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة ، فنحن نقرأ في سورة القصص [٢٣-٢٦] : ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ فالحاجة اضطرتهما إلى عمل ليس من اختصاصهما ، ولكنهما لم تذهبا إلى أكثر من حدود الضرورة ﴿ **قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء** ﴾ معللتين سبب خروجهما إلى ماء مدين مع الرجال بقولهما : ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ .

ثم يأتي سياق القصة ليبين موقف المجتمع المسلم ، ممثلاً في تلك الواقعة في شخص موسى عليه السلام : ﴿ **فسقى لهما** ﴾ فالمسلم -رجلاً كان أو امرأة- لا يقف مكتوف اليدين أمام الممارسات الشاذة التي ألجأت إليها الضرورة ، بل يسعى في الإصلاح في حدود الوسع والطاقة .

ونتابع تفاصيل القصة فنرى أن المرأة المسلمة تسعى من جانبها إلى حل مشكلاتها التي تخرجها عن مهمتها : ﴿ **قالت إحداهما يا أبتِ استأجرْه إن خيرَ من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ .

لقد ذكرتُ الحقائق السابقة لأبين بأن الفكر الإسلاميّ المعاصر متفق على نظرة شرعية واعية لدور الرجال والنساء في مجتمع خيِّر فاضل ، وما نراه في محيط التيار الإسلاميّ من خلاف ، فإنه محصور في الصور العملية لدور الرجل والمرأة ، وينبغي أن نتلمس أسباب هذا الخلاف ، وأن نحسن التعامل معها ، أما الأسباب التي تقف وراء الخلاف فيمكننا إيجازها في الآتي :

أولاً : المعلومات السابقة : فإذا اختلف الناس في كمية المعلومات ونوعيتها ، فإن أحكامهم

ومواقفهم تتأثر فتتنوع أو تختلف. فإذا نظرنا إلى ثقافة المسلمين المعاصرين ، فإننا نميز ثلاث تيارات معرفية أساسية :

١- **تيار يغلب عليه التأثر بتراث الأجيال السابقة** ، وبخاصة التراث الفقهي ، فهؤلاء ينظرون إلى الواقع -الذي اختلفت صورته ومكوناته عن واقع القرون المنصرمة- بعيون رجال الفكر السابقين ، فيوقعهم هذا المسلك في إشكالات وهم لا يشعرون !

٢- **وتيار تغلب عليه ثقافة العصر ، وعنده حظ من الثقافة الإسلاميّة** ، فهؤلاء يحكمون على الواقع ويقترحون صوراً للحياة متأثرين بمقررات الثقافة الغربية ، وهذا يوقعهم في ورطات ويظنون أنهم محسنون !

٣- **وهناك تيار يعمل على امتلاك قدرة اجتهادية تؤهله للتعامل المباشر مع القرآن والسنة** ، وهؤلاء يزدادون قوة وانتشاراً يوماً بعد يوم ، ويقومون بدور طيب في حل الإشكالات والورطات.

ثانياً : الواقع : وواقع المسلمين اليوم تفعل فيه مؤثرات داخلية وأخرى خارجية ، وهو في حالة تحول مستمر ، والناس في معرفة الواقع وإدراك متغيراته متفاوتون ، وهذا التفاوت يلقي بظلاله على النتائج.

ثالثاً : القدرة على الربط بين المعلومات السابقة وبين المعرفة بالواقع : ولا يخفى أن الناس يتباينون في قدرتهم على الربط بين أجزاء المعرفة ، وهذا يؤثر على أحكامهم.

نستنتج مما ذكرنا أموراً :

١- لقد نهضت الحركة الإسلاميّة التجديدية بدور عظيم الأثر فيما يخص المرأة المسلمة ؛ فصاغت المبادئ والتوجيهات الجامعة التي تحدد دور المرأة المسلمة ، وحركت المعلومات الشرعية ، وساهمت في تنقية المفاهيم والمراجع من رواسب عصور الانحطاط والتخلف ، وتصدت لسهام الهجمة الغربية الرامية إلى إفساد المرأة ، وبذلت جهوداً مشكورة في صياغة اجتهادات توجه الساحة الإسلاميّة النسائية إلى مهمات وأعمال تناسب الفطرة ، واستنهضت همم الرجال والنساء إلى تحويل الشعارات الجميلة إلى سلوك عملي .

٢- ويمكننا أن نرد الخلاف الناشب في الساحة الإسلاميّة حول دور المرأة المسلمة إلى : نوعية وكمية المعلومات ، وإلى المعرفة بالواقع ، وإلى القدرة على الفهم والاستنباط. وهذا يعني أن أزمة المرأة المسلمة إنما هي فرع من أزمة الأمة في هذه المرحلة التاريخية ، وأنه بمقدار ما يحقق تيار التجديد الإسلاميّ من مكاسب تسهم في حل مشكلات الأمة ، فإن أزمة المرأة المسلمة ستحظى بنصيبها من الحلول .

٣- ولا يخفى أن في عقل معظم الرجال في العالم الإسلاميّ موقفاً سلبياً من المرأة ، وقد أثر في تكوينه :

- الفهم الجزئي المبتور لنصوص الإسلام .
- ونظرة البيئة الجاهلة إلى المرأة .
- والتصرفات التي تصدر عن المرأة بفعل رواسب التربية السيئة الموروثة عن أجيال الجهل والتخلف ، أو بتأثير الغزو الثقافي الغربي الماكر .

وفي عقل معظم النساء المعاصرات في العالم الإسلاميّ موقف غير إيجابي من الرجل أيضاً ، وقد عمل على تكوينه :

- ممارسة الرجال الخاطئة لفكرة (القوامة) التي شرعها الله عز وجل رحمة بالأسرة .
- الرغبة غير العاقلة -من قبل بعض النساء- في تحسين أوضاع المرأة ، بحيث أصبحت الدعوة إلى إعادة النظر في دور المرأة داخل المجتمع ملازمة لفكرة الخروج عن تعاليم الإسلام ، والسير في أخلاقيات المرأة الغربية .

وهذا يعني : أن العلاقة بين شطري المجتمع -الرجل والمرأة- في أمس الحاجة إلى الرعاية المناسبة ، التي تقوم على أساس أن الرجال والنساء يعانون من آثار تربية غريبة عن الإسلام ، وأنه لا يصح أن يسيء طرف الظن بالآخر ، أو أن يتخذ منه موقفاً متشنجاً بسبب أخطائه ، بل عليهما أن يعملا معاً على التخلص من آثار التربية الفاسدة ، لكي يبصر كل منهما حقوقه وواجباته ومهماته التي تحقق للرجل والمرأة وجودهما الإنساني الكريم .

٤- وعلى الرغم من كل معوقات البيئة والعصر ، فإن المرأة المسلمة قد حققت انتصارات لا يستهان بها في مجال الفكر والممارسة ، وأصبحنا نرى على امتداد الأرض نساء مسلمات ملتزمات ؛ ينهضن بواجبات علمية وفكرية وتربوية ومهنية ، ويشاركن الرجال في عدد من ميادين الحياة العامة ، بصرف النظر عن صور المشاركة .

لذلك فإنني أتحفظ كثيراً على إطلاق القول بأن المرأة المسلمة تكاد تكون غائبة عن ميادين الفكر والفن والثقافة ، وأتحفظ أيضاً على تحميل (الرجل) القسط الأكبر من المسؤولية عن سلبيات نراها في دائرة المرأة المسلمة ، فهناك سلبيات ترجع إلى المرأة نفسها ، وأخرى تفرزها البيئة الاجتماعية والسياسية.

وهنا أنبه إلى أمرين :

الأول : ينبغي أن تكون أحكامنا معتمدة على دراسات تستوعب كل المؤثرات ، وأن نتجنب الأحكام القائمة على انطباعات توحي بها حوادث معزولة.

الثاني : ويجب أن يسود الاحترام لوجهات النظر الفقهية الاجتهادية فيما يتعلق بدور الرجل والمرأة والعلاقة بينهما. والاحترام لا يلغي حق العالم في تخطئة الآخرين ومناقشة حججهم ، وإنما نقصد : أن يبتعد المسلم والمسلمة عن أساليب تسفيه الرأي الاجتهادي ، وفرق كبير بين التخطئة والتسفيه .

٥- إن أمتنا ما تزال في حاجة ماسة إلى استمرار وتعميق عملية التجديد ، وإلى النهوض بالاجتهاد ؛ فعن طريق التجديد تزيل العقبات من العقول والنفوس ، وعن طريق الاجتهاد تبتكر صوراً شرعية تناسب حياة المسلمين ؛ تحقق بها المصالح وتدرأ المفاسد .

وينبغي أن يتقدم أهل العلم قافلة دعاة التجديد والاجتهاد حتى لا يضل الناس الطريق وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً ، ويجب أن يحتاط المسلم ، رجلاً وامرأة ، في أخذ العلم والاجتهاد ، فلا يأخذ علمه إلا عمن يصح أن يؤخذ عنه .

٦- على المرأة المسلمة أن تنمي مبادراتها الذاتية للنهوض بالساحة النسائية ، وعليها أن تتمتع بهمة علية تمكنها من السعي الحثيث إلى التكوين الأفضل باستمرار ، وتمنحها القدرة على تخطي العقبات التي تفرزها البيئة الاجتماعية والسياسية.

وأخيراً أقول : إن وجود شُقة بين الشعارات الجميلة والواقع الحالي ينبغي ألا يفت في عضد المسلمة ، ولا يجوز أن تدفعها الرغبة في النهوض إلى الخروج عن حدود الفطرة والشرع ، وأدعو التيار الإسلاميّ إلى مراجعة هادئة لاختياراته في مجال العمل النسائي ، فقد تراكمت معارف وتجارب تستدعي قراءة جديدة للساحة النسائية .. وعسى أن يكون ذلك قريباً.

همسة في أذن الرجال والنساء

يتصل بنا أخوات كريمات يطلبن أن نتكلم في الخطب والمحاضرات والدروس عن الأخلاق الإسلاميّة ، التي ينبغي أن يتحلى بها الرجال في تعاملهم مع النساء ، وتكرار هذا الطلب يدل على أن شريحة من المسلمين العاملين متأزمة داخل البيت ، وأن العلاقة بين الزوجين ليست على ما يرام !!.

وانطلاقاً من معرفتنا بواقع أمتنا ، وبمدى النهوض الأخلاقي الذي حققته الصحوة الإسلاميّة ، فإننا نقرر الآتي :

١- يعاني رجال كثيرون ونساء كثيرات من علل أخلاقية بفعل ؛ البيئة الخاصة ، وواقع الأمة ، وحالة العالم . ولا ريب في أن الحركات الإسلاميّة قد أيقظت العمل بالجانب الأخلاقي ، إلا أن الأمة ما تزال في حاجة إلى جهود جبارة في هذا المجال .

٢- إن الجانب الأخلاقي من أهم الجوانب التي فيها امتحان مستمر للإنسان ، فعلاقاته الاجتماعية التي لا تستقر على حال ، والأوضاع الاقتصادية المضطربة ، والممارسات السياسية الملتهبة .. كل ذلك يؤثر على السلوك ، وقد يمر المسلم ، رجلاً كان أم امرأة ، في حالات ضعف فتظهر الآثار في التصرفات .

٣- يصعب في كثير من الحالات الأسرية تحديد الظالم من المظلوم ، فقد نطلع على موقف يظلم الرجل فيه المرأة ، أو تظلم فيه المرأة الرجل ، وربما تسرعنا في الحكم على أحدهما بالتجني على الآخر ، وفي كثير من الحالات التي تتاح فيها إمكانية التعرف على المشكلات وجذورها ، فإن الحكم المتبادر لأول وهلة يهتز ويتغير ، فقد تكون تصرفات الرجل أو المرأة نتيجة تراكمات قائمة على الفعل ورد الفعل ، ومتسمة بالمشاكسة ، وغارقة في الجزئيات .

اعتماداً على هذه المعاني فإننا ننصح الرجال والنساء على حد سواء بالآتي :

١- يقرر علماؤنا أن كل حق يقابله واجب ؛ فما هو حق للزوج واجب على المرأة ، وما هو حق للمرأة واجب على الزوج . فإذا نهض كل واحد منهما بواجباته تجاه الآخر ، حصل الطرفان على حقوقهما .

فإذا وقع خلل -بصرف النظر عن أسبابه- من أحد الزوجين فقصر في واجباته أو أهمل ، فلا يصح أن يقابله الطرف الآخر بالتقصير أو الإهمال ، لئلا تتراكم ردود الأفعال المؤدية إلى مصيبة .

وكم نتمنى أن يتدبر الزوجان ما رواه الشيخان عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « **إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا ! قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ** » .

٢- إن أزمة المسلمين -أحياناً- ليست في المعرفة ، وإنما في الإرادة والأجواء المساعدة . صحيح أن التذكير بالواجبات مفيد ، ولكن الفائدة الحقيقية تكون في أن يوفر الرجل لزوجته ، وفي أن توفر المرأة لزوجها ، أجواء مساعدة على التزام أخلاق الإسلام ، وفي ذلك خير للجميع .

٣- ونحذر المرأة والرجل من كثرة الشكاية من التصرفات ، وبخاصة أمام الأطفال ، ونطالبهما بالتناصح والصبر ، ونأمل منهما أن يتدبرا سورة العصر : ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ فإن في العمل بمضمونها بلسماً للجراح .

انهضوا بالرجال والنساء معاً !

شاركت في مؤتمر ضم عدداً من المهتمين بمستقبل ثقافة المسلمين في الغرب . وكان موضوع النقاش منصبا حول (مخطط العمل الثقافي للمسلمين في الغرب) وخلال الحوار أشرت إلى مسألة يقلقني تكرارها في الوسط الإسلاميّ ، وكان من جملة ما ذكرت :

- لقد لفت انتباهي في مخطط النهوض بثقافة الجاليات المسلمة في الغرب ؛ كون المخطط يتحدث بإسهاب عن النهوض بالمرأة المسلمة وبالأجيال التي نشأت في الغرب ، ولم أعثر على عنوان بارز يتحدث عن النهوض بالرجل المسلم ، وتساءلت :
- ألا ترون أن كثيراً من مشكلاتنا الثقافية يقف خلفها نوعية الرجال ؛ سواء كانوا متدينين

أم مسرفين على أنفسهم ؟!

▪ أم أن الرجل قد نضج ثقافياً ، وتجاوز ما يرمي إليه مخطط النهوض الثقافي بالمسلمين ، ولذلك لم يرد ذكره ؟!

وجاء رد عجيب غريب : ألا ترى أن الرجال هم الذين وضعوا هذا المخطط ، وأنهم هم الذين يناقشونه في هذا اللقاء ؟! ماذا تريد أكثر من هذا ؟!

فقلت في معرض رديّ على صاحب البيان العجيب الغريب : لقد ذكرتني بقصة طريفة جرت معي يوم زرت قطراً عربياً ، ففي لقاء جمعني بكوكبة من المهتمين بالدعوة الإسلاميّة ، وكان من بينهم أساتذة وأطباء ومهندسون ، قلت للحاضرين : لقد سرني منظر اللباس المحتشم لفتيات المدارس ، حيث أن نسبة عالية منهن يلبسن ما نسميه (الحجاب) -وأعني الشروط الواجب توفرها في اللباس من غير اعتبار للون الثوب وكيفية تفصيله- **وهذا يجعلني أسأل : ما هو مخططكم للعناية بالإناث ؟**

فقال كبير الإخوة مكانة : عندنا مخططات ، ونسأل الله التوفيق للعمل .

فانبرى أحد الإخوة -وهو طبيب- قائلاً : هذا جواب سياسي ، ويجب أن نقول الحقيقة ، فنحن يا أخي نقرأ نيابة عن نسائنا ، ونفكر ونقرر في شؤونهن ، وإذا اعترضت علينا إحداهن اتهمناها بألوان التهم التي تحاصرها وتعيدها إلى الحجم الذي نريد ، فإذا أبت كان الفراق !! .

وبعد أن سقت هذه القصة قلت : إن الرجل والمرأة جناحا المجتمع ، وينبغي أن يكون كل جناح قوياً سليماً ، إذا أردنا أن يحلق المجتمع في سماء العزة والكرامة ، وإنه لغريب أن نتحدث عن الشأن الثقافي في غياب المشاركة النسائية .

لقد ذكرت هذه القصة التي تتكرر حقيقتها في مواقع كثيرة على امتداد ساحات العمل الإسلاميّ ؛ الذي يرفع لواء التجديد ، ويروم إنهاض الأمة من عثراتها.

وأنا لا أقلل من الجهود المبذولة في تطوير ثقافة المسلمين وتخليصها من شوائب عصور التخلف ، أو شوائب عصر الانبهار الذي نعيش أيامه ، ولا أغمز بالإنجازات التي تحققت على مستوى الفكر والممارسة ، ولكنني أقرر -وأنا حزين القلب- أن النتائج لم تكن في مستوى الجهود والأوقات والتطلعات ، وأن الحديث عن النهوض بالمرأة المسلمة يحتاج إلى إعادة النظر في المضمون

وفي الوسائل .

ويلوح لي أن هناك قضيتين تحتاجان إلى تركيز الاهتمام :

الأولى : أن نحرر الرجل المسلم من هيمنة مفاهيم البيئة التي تفرض تأويلها على النصوص ، وهذا يتطلب :

١- تحديد منهج علمي يرفع مستوى تعامل المسلم مع كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- التأكيد على الاستمرار في تنمية المعارف الإسلاميّة والحياتية ، لأن كثيراً من المسلمين يبذلون جهداً للفهم في مرحلة معينة ، ثم يتوقفون ويقضون سنوات وسنوات وهم يعملون في حدود ما فهموه من قبل .

وتنمية المعارف تتطلب أن يعدد المسلم مصادر معرفته ، وبخاصة في المجالات الاجتهادية ، فقديماً قيل : إذا أردت أن تعرف مكانة شيخك العلمية ، فاجلس إلى غيره ، عندئذ تزداد معرفة وتنمو قدرتك على التمييز والاختيار .

الثانية : أن نحرر المرأة المسلمة أيضا من سيطرة المفاهيم الغريبة عن الإسلام ، والتي تقعد بها عن إدراك المتغيرات ، وتنأى بها عن بذل الجهد الذي يزيدها بصيرة وقدرة على ارتياد مجالات متعددة في العمل الإيجابي المثمر .

وما ذكرته آنفاً بخصوص الرجل المسلم ينطبق على المرأة المسلمة ، مع ملاحظة لطيفة تقول : إن على المرأة أن تأخذ حقوقها بقوة واعية ، فالحقوق إذا ضاعت تنتزع بحكمة ، وما لم تملك المرأة المسلمة القدرة على إثبات وجودها الفكري والثقافي والإداري والتنظيمي ... إلخ ، فإن كل حديث عن النهوض بالمرأة لن يسفر عن خطوة إيجابية في الواقع ، ولا يخفى أن التوعية تهيء الفرص للعمل الإيجابي ، فإذا تهيأت الأجواء الفكرية والنفسية والأخلاقية و لم تكن المرأة قادرة على الاستفادة منها ، فإن هذه الفرص تضيع ، وقد تعطي انطباعاً بأن المرأة ليست مؤهلة لأدوار قيادية في المجتمع.

لذلك كله ندعو إلى النهوض بالرجال والنساء ، وندعو الرجال والنساء إلى المراجعة المستمرة للمعلومات والتصرفات ، وهذا ما يرمي إليه مصطلح (**التوبة**) .

صوت المرأة المسلمة :
أيـن المبـدعــات ؟

منذ أواسط القرن التاسع عشر الميلادي –على وجه التقريب– والحوار محتدم داخل الأرض الإسلاميّة حول : أسباب الضعف والتخلف الذاتية ، وعوامل الإضعاف والتجهيل الخارجية ، التي تفرضها قوى التسلط العالمية على المسلمين .

وأفرز هذا الحوار تبايناً في معالجة الأزمات ، واتخذ الناس مواقف عبروا عنها بكلمات ، مثل (الأصالة ، الحداثة ، الوسطية ، التطرف ، الاعتدال ، الرجعية ، التقدمية ..) ويمكن أن نميز داخل كل موقف ألوان الطيف في تحديد شروط ما يؤخذ به وما يترك ، وما حقه التقديم أو التأخير ..

ونحب أن نشير هنا إلى أن الاحتكاك بالفكر الغربي قد حفَّز طائفة من المؤمنين الصادقين ، وحرضهم على تلمس الفهم الأفضل للإسلام ، وكان موضوع (المرأة) من أبرز المسائل التي شغلت –وما تزال– الفكر الإسلاميّ من الناحية النظرية والسلوك العملي .

وغنيٌّ عن البيان أن مؤسسات الغرب –التي أرسلت جيوشاً جرارة صامتة إلى بلاد المسلمين– قد أولت قضايا المرأة عناية خاصة . يقول المبشر جب : (إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني .. لقد شعرت دائماً أن مستقبل سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها ..) وتقول المبشرة آنا ميليفان : (في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات .. وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي .. وليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة) . وجاء في الصفحة ٢٠٣ من كتاب (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) الآتي :

{ويهتم المبشرون خاصة بالمرأة .. إن المرأة مدار الحياة الاجتماعية ، والوصول إليها بالتبشير وصول إلى الأسرة كلها .. من أجل ذلك كانت جمعية الشابات المسيحيات بفروعها ، ومن أجل ذلك كانت المنازل والمعاهد التي يعدها المبشرون للفتيات خاصة ..

وللمرأة عند المبشرين أهمية عظمى .. قال نفر منهم : بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها –ذكوراً وإناثاً– حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ في الأهمية ، وبما أن النساء هن العنصر

المحافظ في الدفاع عن العقيدة .. فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد على جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلاميّة}.

ولا يخفى أن حركة التجديد الإسلاميّ المعاصرة قد أبرزت النصوص الشرعية الواردة في المرأة ، وليس بمستغرب أن تتعدد قراءة النصوص بتعدد خلفيات المتعاملين معها رجالاً ونساءً :

▪ فالذين ينطلقون من تقديس التراث ، ويخافون أن تتسرب مفاهيم الغرب المتغلب إلى الفكر والممارسة ؛ يجدون أنفسهم ملزمين بفهم الأجيال السابقة ، ويرون مخالفتها لوناً من الانحراف بفعل استبطان الأفكار الغربية .

▪ والذين يقفون على أرض الفكرة الغربية ، ويرغبون صادقين في التحرر من عوامل الضعف ، يسقطون مفاهيمهم على النصوص بتأويل ، ويتهمون من يرفض ما توصلوا إليه بالجمود والجهل واجترار الماضي ..

▪ وهناك تيار الوسطية الداعي إلى الالتزام بالنصوص وفق منهجية تفرق بين فهم الأجيال المتأثر بالظروف المتغيرة وبين النصوص ، مع توفير قدرة اجتهادية أصيلة . وهذا هو التجديد الذي لا يقدس عطاء السابقين لقدمه ، وإنما لصلاحه ، ولا يقبل الجديد لجدته ، بل لفائدته ، والتجديد لا يقف عند حدود ما يصح أخذه من عطاء الماضي والحاضر ، ولكنه يشمل ابتكار صور عملية تنظم النشاط الإنساني للذكور والإناث ؛ في ضوء أحكام الشريعة ومقاصدها ، بعيداً عن التقليد أو الانبهار .

والناظر في عطاء الحركة الإسلاميّة المعاصرة يرى أن كثيراً من وجهات النظر ترفع شعار (المحافظة) أو (المعاصرة) . ولا يخفى عليه أن الفريق الأول يستدعي تطبيقات أجيال خلت ، بينما ينقل الفريق الثاني ممارسات الغربيين ، ويظهر –بتوسيع النظر– أن الفريقين يفتقران إلى التجديد والاجتهاد ، وهذا هو سبب الخصومة الحامية في كثير من الأحايين .

إن مستقبل دور المرأة المسلمة يحدده المبدعون والمبدعات ، المالكون لأهلية التجديد والابتكار بضوابط شرع الله عز وجل ، ونتوجه بالكلام هنا إلى المبدعات لأنهن الأقدر على صياغة أعمال وروابط وعلاقات تلتزم بأحكام الإسلام الرحيم وبمقاصده السامية ، ولأن عليهن واجب محاورة من ينأى عن النهج الأقوم فهماً وتطبيقاً من ذوي النيات الحسنة .

دور المرأة في الدعوة

جرت العادة في الأعوام الأخيرة أن يؤم المساجد في أوروبا مجموعة من الأوروبيين الراغبين في التعرف على الإسلام عن طريق الاستماع إلى المسلمين ، وهذه المجموعات متنوعة في السن وفي المستويات الثقافية ، ومن الأمور العادية في أوروبا أن تضم الذكور والإناث . ويقوم بواجب التعريف إخوة وأخوات مؤهلون أكثر من غيرهم : علماً ولغة واستعداداً للنهوض بهذا العمل المبرور .

وذات يوم كانت مجموعة كبيرة تجلس في قاعة المحاضرات ، وكان معهم من جانب المسلمين أخ وأخت يقومان بواجب الاستقبال والتعريف والحوار . وبعد أن فرغ المسلمون من صلاة المغرب اقترب مني شاب وقال : أريد أن أسألك ، هل ورد في ديننا أن امرأة تقف داعية في جماعة فيهم رجال ونساء ؟! ثم أردف قائلاً : أعتقد أن هذا لا يجوز ، بل إن قوله ﷺ : « **لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّه** » (رواه البخاري) يفيد أن الأصل هو منع المرأة من الذهاب إلى المسجد حتى لا تختلط بالرجال ، إلا إذا أرادت أن تسأل عن الضروري من أمر دينها ، وكان وليها عاجزاً عن تعليمها ، فتذهب للسؤال فقط .

قلت له : لست أدري هل تسألني أم تعلمني ؟! . ثم استفسرت منه : كيف تفهم هذا الموضوع ؟!

قال : لقد حرم الإسلام اختلاط النساء بالرجال ، ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ ... **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ... ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ؟! ، وحتى لا تقول لي : إن هذه خاصة بأزواج النبي ﷺ ، فأقول لك : لقد قرر العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وقد قرأت أن خير ما يفسر به قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ قوله ﷺ : {« **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** » فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ : أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ . قَالَ : « **الْحَمْوُ الْمَوْت** »} رواه البخاري .

قلت له : ليست المشكلة فيك ، فأنت ما تزال شاباً ولا تسمح ظروفك ولا معلوماتك بمعرفة دلالة النصوص وأسباب النـــزول ، ولست مؤهلاً بعد للربط بين نصوص القرآن وأحاديث

الرسول الكريم ﷺ . ولكن المشكلة فيمن تجلس إليهم وتأخذ عنهم . فالآية [٥٣] من سورة الأحزاب تعالج مواضيع تتعلق بالرسول ﷺ وأزواجه رضوان الله عليهن ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ .

فهذه الآية –كما هو واضح من كلماتها– نهت المؤمنين عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا بعد الإذن لهم بالدخول ، وإذا كان لأحد حاجة ، ولم يكن النبي ﷺ حاضراً ، فيجوز له أن يأخذها من غير دخول . وإذا قلنا : إن قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ عام يشمل جميع النساء ، فيكون المعنى : إذا كان لأحد حاجة في بيت أخيه أو صديقه ، ولم يكن في البيت أحد يجوز أن يأذن له بالدخول ، فإنه لا ضير في أن يأخذ صاحب الحاجة حاجته ، ولكن من غير دخول . أما قوله ﷺ : « **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ** » ففيه نهي عن الخلوة ، وحين استفسروا : أرأيت الحمو ؟ جاءهم الجواب : « **الْحَمْوُ الْمَوْتُ** » مؤكداً أن هذا الحكم يشمل الأقارب من غير المحارم . فالموضوع بسيط جداً ولا يحمل المعاني التي تذكرها .

أما زعمك بأن قوله ﷺ : « **لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّه** » معناه النهي عن الذهاب إلى المسجد إلا لتعلم الضروري من العلم فغريب عجيب !! ، ويدحضه أحاديث كثيرة ذكرت مشاركة النساء في صلاة الجماعة ، بما فيها صلاة الفجر !! ولا أرى حاجة للتفصيل في هذا الأمر لأنه واضح .

لقد سقت هذه القصة لأقول : إن العلم مسؤولية ، وعلى الذين يتصدرون مجالس العلم أن يحسنوا الفهم والتعليم سواء كانوا رجالاً أم نساء ، وعلى هؤلاء أن يستمروا في تنمية معرفتهم الشرعية ، وأن يعيدوا النظر في قواعد فهم النصوص ؛ فهذا ينقذهم من جمود المعرفة ، ويبعدهم عن أخطاء التلقي في مراحل العمر الأولى .

وهناك أمر آخر نطالب به الرجال والنساء ، وهو : إن أمتنا تمر بمرحلة تحاول فيها النهوض من عثراتها ، ونحن نؤمن أن النهوض الحقيقي لا يتم إلا باتباع منهج الفهم الإسلامي ، وهذا يلزمنا في هذه المرحلة التاريخية الحرجة بالتفريق بين دلالة النصوص وبين ثقافة الأجيال الماضية ، كما يلزمنا بالحذر الكبير من تسرب ثقافة الغرب التي قد تدخل إلى عقولنا متدثرة بثوب إسلامي ، وذلك حين يعمد بعضنا إلى تأويل النصوص لتنسجم مع ما استحسنوه من فكر الآخرين .

وندعو رجال الدعوة ونساءها إلى أن يأخذوا دورهم الشرعي في مجال الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ داخل بلاد المسلمين وخارجها .. فهذا ينجيهم عند الله تعالى وتنتصر بهم دعوة الحق والخير .

المرأة في العمل المؤسساتي

إن دور المرأة في الدعوة والتربية خارج البيت لم يعد مشكلة فكرية وأزمة فقهية في الساحة الإسلامية ، على تنوع مشاربها وآرائها ، وتبقى العقبة الحقيقية في طرح صور عملية ؛ تحرك الآراء وتدفعها إلى فقه عملي، بعد أن استقرت المبادئ من الناحية العلمية .

ولعل نقل تجربة المركز الإسلامي في آخن يفيد في بيان هذه الحقيقة التي ينبغي أن يلتفت إليها المصلحون والمصلحات .

- قبل أعوام ناقشت إدارة المركز الإسلامي في آخن ظاهرة وجود المرأة في نشاطات المركز وغيابها في دوائر القرار ، وأظهرُ الأدلة على ذلك (حصر عضوية المركز في الرجال دون النساء) . و لم تجد الإدارة غضاضة في أن تكون المرأة عضوة إذا توفرت فيها الشروط المطلوبة من كل عضو .
- اتفقت الإدارة على فتح باب العضوية في (مجلس المركز) الذي يضم في عضويته الأعضاء الفاعلين ، وهو أعلى مؤسسة في هيكلية المركز ، ومن مهامه : انتخاب الإدارة من بين أعضائه .

وطرحت الإدارة الفكرة في لقاء نظامي ، فثار نقاش حوار جواز ذلك من الناحية الشرعية، وانقسم الأعضاء في الرأي ؛ فالغالبية ترى أنه لا يوجد مانع شرعي ، والآخرون يذهبون إلى وجود المانع . ورغب المؤيدون للفكرة في حسم النقاش عن طريق (التصويت) . وهنا تدخل الأستاذ الكبير عصام العطار وطالب الأعضاء بتأجيل القرار في هذا الموضوع ، وإتاحة فرص للتفكير

والحوار خارج حدود اجتماع مجلس المركز ، ونبه إلى أن مثل هذه القضايا العلمية والفكرية لا يصح أن يحسم بالتصويت . واستجاب الجميع لهذا الاقتراح .

▪ بعد ثلاث سنوات طرحت الإدارة الموضوع مرة أخرى فلم يعترض -علناً- أحد من أعضاء مجلس المركز ، وعلى الفور قدمت الإدارة قائمة بأسماء الأخوات المرشحات للعضوية وتم قبولهن .

بعد مضي عامين على عضوية الأخوات في مجلس المركز كان الانتخاب الدوري للإدارة ، فانتخب الأعضاء أختين لعضوية الإدارة المكونة من خمسة أعضاء .

هذه التجربة سقناها لنقول : ينبغي أن يعيد رجال ونساء الحركة الإسلامية ، وبخاصة في الغرب ، ترتيب مؤسساتهم الإسلامية ، وأن تكون عضوية المؤسسة متاحة للجنسين ، إذا توفرت الشروط الشرعية والنظامية في الرجل أو المرأة ، وفي تنظيم العلاقات .

وننصح بالتحرك وفق منهجية تراعي مرحلية الانتقال من حال إلى حال ، وضمن رؤية شرعية تطمئن الجميع إلى أن ما يفعلونه يرضى عنه ربنا سبحانه وتعالى .. وهذا قد يحتاج إلى حوار وتفاهم من خلال الزمن والجهد والوعي .

وتجربة المركز الإسلامي في آخن التي ذكرناها ، لا تعني القيام بنسخها ، فلكل مؤسسة ظروفها العلمية والأخلاقية والاجتماعية .. ومن الشرع مراعاة خصوصيات كل مؤسسة وقدرتها على الاستيعاب .

المهم .. أن نتحرك -ذكوراً أو إناثاً- نحو تطوير المفاهيم والصبر على ذلك ، وهذا لا يتم إلا بطرح صور عملية ملتزمة بضوابط الشرع .

المرأة حصن الإسلام المنيع

وتأتي معركة الحجاب في (البرلمان التركي) عام ١٩٩٩م لتذكير الدنيا بأسرها أن هناك قضايا لم تحسم بعد في العالم الإسلامي ، بل وخارج حدود بلاد المسلمين ، ويأتي في مقدمة هذه القضايا (**مرجعية المجتمعات والجماعات والأفراد**) و(**مقتضيات هذه المرجعية على مستوى الأمة وعلى**

الصعيد الفردي) .

ومن المؤسف أن تكون المرجعيات الغربية الوافدة ، والمفروضة على المسلمين داخل أوطانهم -متدثرة بشعارات الإنسانية والحرية والمساواة- هي أداة القمع والظلم ومحاصرة مرجعية المسلمين الأصلية (الإسلام) حتى داخل بلادهم !

ولم يعد غريباً في هذه الأجواء أن يكون التزام المرأة المسلمة بالحجاب دليلاً على انتشار (البراء) من العقائد والفلسفات المناقضة للإسلام ،وعلى (الولاء) للإسلام : عقيدة ، وعبادة ، وأخلاقاً ، وشريعة . وصار المتغربون الذين يملكون السلطان السياسي والعسكري يرون في قمع ظاهرة الحجاب انتصاراً على الفكرة الإسلامية ، وأضحى معلوماً لدى قطاع كبير من الناس أن الفراعنة والقوارين المحليين والدوليين يعملون جاهدين على منع المسلمين من العودة الحميدة إلى الإسلام ، واعتباره منهج حياة كامل ، ويتوسلون لتحقيق ذلك بإشاعة التحلل الأخلاقي عن طريق إفساد المرأة ، واللجوء إلى العنف إذا لم تنفع -في تقديرهم- وسائل الإغراء والإفساد . وإلى هاتين الوسيلتين أشار حديث رسول الله ﷺ : « **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** » رواه مسلم وأحمد .

وما جرى من قمع داخل أعلى مؤسسة تشريعية في تركيا قد تكرر مثله في أقطار أخرى من بلاد المسلمين ، فهناك أنظمة حكم -وبخاصة في المنطقة العربية- تمارس اضطهاد الملتزمين والملتزمات بصمت ، وهناك من يعلن حرباً شعواء ، ويصدر قرارات ومراسيم تحرم لبس (الحجاب السياسي) أو (الحجاب الطائفي) !! معتبرين أن تخلي المرأة عن حجابها بداية استسلام وانهيار فكرة الالتزام بالإسلام داخل البيوت ، وهذا مهم في معركتهم .

ووصلت عدوى قمع الالتزام بالإسلام عن طريق محاربة (حجاب المرأة المسلمة) إلى دول أوروبية ، وصار الحديث عن الحجاب موضوعاً مثيراً على مستوى أصحاب القرار ، ووسائل الإعلام . وخلّف هذا الموقف السلبي تصرفات متشنجة لدى قطاعات من الشعوب الأوروبية . وعبرت عن ذلك بمضايقة المحجبات في المدارس ، وعدم إعطاء المحجبات حقهن في العمل ..

وهذا الذي نشير إليه يذكرنا بإصرار الاستعمار الأوروبي المباشر والإرساليات التبشيرية على

الوصول إلى نساء العالم الإسلامي مستغلين مرحلة الجهل والانبهار بأوروبا ، واستطاعوا أن يزرعوا عند قطاع من بنات المسلمين شبهات وشهوات ، وظنوا أنهم قد وصلوا إلى ما يريدون ، ثم فاجأتهم الحركة الإسلامية التجديدية بإبراز مكانة المرأة المسلمة في التصور الإسلامي ، وتضافرت النهضة التعليمية مع جهود الصحوة الإسلامية ، فأوجدت أجيالاً من المؤمنات اللاتي اقتحمن ميدان المعرفة ، وميادين الدعوة والبناء ، ونمت كفاءات نسائية علمية وفكرية ، وإصلاحية .. وهذا سبّب قلقاً لدى التيار الذي تبنى (علمنة العالم الإسلامي) لأنهم يعلمون أن المرأة المؤمنة الداعية ستعمل داخل البيت وخارجه –وبهدوء– على تنشئة أجيال مسلمة واعدة تتبنى الفكرة الإسلامية وهذا مصدر إزعاج لهم إذ يهدد ما بنوه بالأفول والزوال .

إن الهجوم على حجاب المرأة المسلمة يعني ببساطة أن النساء المسلمات هن حصن العقيدة المنيع ، وأن المرأة حين تؤمن بقضية فإنها تبادر إلى التمسك بها والدعوة إليها : فكرياً وعاطفياً وتربوياً ، وهل هناك دليل أقوى من لبس الحجاب في أجواء مكفهرة ومنكرة لحق المسلم في فهم الإسلام وفي الالتزام به كما أنزله الله عزَّ وجلّ ؟ .

وهل هناك دليل أقوى من كون المسلمة التقية من أهم قواعد التجديد الإسلامي عندما تثبت أمام الاستهزاء ، وفي وجه التضييق ؟

إن عدداً كبيراً من المسلمات اليوم ليذكروننا بأول المؤمنات الصابرات المجاهدات خديجة رضي الله عنها ، وبأول شهيدة في الإسلام سمية رضي الله عنها التي مضت إلى ربها مع زوجها ياسر ﷺ ، وبعالمة النساء عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما .

وهذا يثلج الصدر من ناحية ، ويفرض على الحركة الإسلامية أن ترفع مستوى اهتمامها بالعمل النسائي على كل المستويات ، ويفرض على النساء فقه سنة التدافع فيصبرن ويصابرن ويرابطن .. وأن يذكرن قول الله تعالى : ﴿ **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

أوثق عرى الإيمان

أختي المؤمنة ..

أنت تعلمين أن رسول الله ﷺ قال : « « **أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْمُوَالاَةُ فِي اللهِ ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ** » (صحيح الجامع الصغير:٢٥٣٦) . فالموقف القلبي من الآخرين عليه المعتمد في التصرف النفسي والسلوك العملي .. لذلك كان الحب في الله والبغض في الله أقوى الأدلة على صلابة وسلامة الإيمان .

وتعلمين أن الحب في الله له عطاء عاجل ، وثواب آجل ، وعمل إيجابي كامل ؛

فالعطاء العاجل يتمثل في التنعُّم بلذة التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ بهذه العبادة العظيمة . عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَان : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ ، بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّار** » (متفق عليه) .

والثواب الآجل يحدثنا عنه المعصوم ﷺ فيقول : « **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَة : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي** » (رواه مسلم) ، ويقول ﷺ : « **قال الله عزَّ وجلَّ : الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاء** » (رواه الترمذي) .

والعمل الكامل نتيجة طبيعية للثقة والمودة وحب الخير للناس .. ومن ذلك : التراحم ، والتناصح ، والتزاور ..

▪ يقول الله تعالى : ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ... ﴾ [الفتح: ٢٩] . والتراحم إنما يكون عند وقوع موجباته .. والتي تجتمع في سوء التصرف والأخطاء ..

▪ ويقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٧١] . فالمؤمنة إنسانة .. وحين يقع منها الخطأ أو

تسيطر عليها غفلة فإنها في حاجة إلى القلب العطوف والأخت الغيورة التي تضبط غيرتها بالعلم والحلم .

▪ وعن أبي سعيد الخولاني رحمه الله قال : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا ، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ -هجرت : بكرَّت في الحضور- ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاَتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِلَّه . فَقَال : آللهِ ؟ . فقلت : أللهِ . فقال : آللهِ ؟ . فقلت : أللهِ . فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ فَقَال : أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : **وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ** » (رواه مالك) .

▪ وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : « أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ . قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ، قَالَ : لاَ ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ **بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ** » (رواه مسلم) .

أختي المؤمنة .. إن المعاني التي سبق ذكرها تطالبنا بأن نكون إيجابيين في علاقاتنا مع المؤمنات ، وتحضنا على الترقي في مدارج الكمال ، وتحذرنا من الوقوع في مهلكات تذهب بما نقدمه من عمل صالح نرجو به ثواب الله عزَّ وجلَّ يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وبما أن علاقة الإنسان بالآخرين ليست جامدة ، ولا يمكن أن تسير على وتيرة واحدة ، فإن علاقة المسلمة بأخواتها تمر بامتحانات كثيرة .. وعلى المؤمنة أن تفقه كيف تتعامل مع كل حالة بما يرضي الله عزَّ وجلَّ .

إن الحديث عن الحب في الله والبغض في الله أيام الرخاء سهل ميسور لكل الناس ، ولكن الامتحـــان الحقيقي إنما يكون في أيام الشـــدة .. ففيها تتصادم الطباع ، وتتواجه الآراء ، وتقع أخطاء وتجاوزات .. عندئذٍ تُمتحن المسلمة في أخلاقها القلبية وأخلاقها العملية .. وعليها أن تعد جواباً على سؤالين يوم العرض على الله تعالى ، هما : لِمَ فعلتِ ؟ وكيف ؟ .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية فقد كان يؤكد أن تقرير القواعد الأخلاقية شيء والعمل بها شيء آخر .. إلا عند الصادقين .. ونظرة في واقع المسلمين اليوم تؤكد صحة ما كان يقرر

رحمه الله .. وأخشى ما أخشاه أن يشمل حديث رسول الله ﷺ أخوات مؤمنات يتجاوزن عند الخصومة مع أخوات لهن حدود الشرع .. يقول ﷺ :

« **يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخِلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ! لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، يَتَتَبَّعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ** » (رواه الترمذي) .

فاحذري أيتها المسلمة من الوقوع في أحابيل التأويلات التي تريك الحقد والانتقام للنفس غيرةً وأمراً بمعروف ونهياً عن منكر وتحذيراً للناس من الفاسدات!! . وإياك ثم إياك أن يحركك الشيطان في الخصومة أكثر مما يحركك إيمانك في الخير .. فصِلي من قطعك وأعطي من منعك ، واعفي عمن ظلمك .. ففي هذا السلوك الفلاح .

ملاحظات :